العين والمخرز

◆

الخلق – الا ماندر – على دين الواقع او الحالة الراهنة • والقاعدة المشهورة ، المتردية برداء العلم : « الناس على دين ملوكهم » لا تعني في النتيجة غير هذا • فالواقع هنا هو السلطان – اي السلطة القائمة اصولا وفروعاً ، اركاناً وشيعاً ، شخوصاً وظلالا •

وليس في طبيعة الوجود ان يعمل السلطان على تبديل الواقع ، او يطالب به ، او يدعو اليه • ففي كل تبديل عنصر ثوري ، ولا يصح ان تثور السلطة القائمة على نفسها ، او الواقع على ذاته : السلطان (اساساً وتعريفاً) قوة ، بل مجموعة قوى تحافظ على الحقوق والمراكز « المكتسبة » • فاذا جاء السلطان يعبث بها ، حقت عليه تهمة الخيانة – خيانة مهمته ووظيفته ومنطق الاشياء •

على ان السلطان قد يثور على الواقع او الحالة الراهنة احياناً ،فيتناولهـا بالتبديل والتحوير ، لكن ليعود بها القهقرى ، تمكيناً وتوكيداً لتلك الحقوق والمراكز المهددة ، كلما آنس اقتراب العاصفة ،وامكنته الفرصة • حينئذ يذر قرن الرجعية من ثقوب ثوب المحافظة ، او من اثمالها • وآخر مظاهر هذه النزعة الوبيلة الحركة النازية التي اوشكت ان تطغى على العالم ، معرضة الترقي الانساني لادهى داهية عرفها التاريخ ، ليس بما اعدت من قوى ضخمة ، وسنت من سنن خطرة فحسب ، بل بما شجعت النزعة الرجعية ايضاً في سائر اقطار الدنيا ، وأغرت بتقليدها ذوي الحقوق والمراكز المكتسبة جميعاً – المكتسبة المهددة •

*

ان تكن القاعدة المشهورة : « الناس على دين ملوكهم » مترديه برداء العلم ، فالحكمة المأثورة : « ليس في الامكان ، ابدع مما كان » تتحلى بحلية التصوف •• وانها ، في لطف وقعها على الآذان ، وعلى الاذهان ، لاشبه بالترانيم التي يراد بها التنويم • ففي الامكان ، دوماً على مدار الزمان، غير – اذا لم نقل : ابدع – مما هو كائن • وليست سنة الوجود المحافظة ولا البقاء ولا الجمود ، بل التطور والتحول والصيرورة • وهل كان التاريخ الانساني الا حكاية النزاع المستمر المستحر بين قوى الرجعية ونزعة التقدم ، في فكر الانسان وفي اوضاعه ؟• هي قصة – لحسن الحظ -- كالقصص التي تحترم ذاتها ، يفوز فيها اخيراً ، في كل مرحلة ، الحق على الباطل ، والخير على الشر – نعني : الرقي على الرجعية • سوى ان هذا الغلو في التفاؤل بما هو كائن ، وفي التطير او اليأس مما يمكن او يجب ان « يصير » ، ليس من اختصاص الشرق وحده • فقد نال فولتير من « ليس في الامكان ، ابدع مما كان » هذه ، في فجر الثورة الفرنسية ، احدى مراحل التاريخ الكبرى ، بامتع سخر والذعه •

*

يقولون لنا ايضاً : « هي القوة ، لاقبل لنا بها •» كمن يشكو ضيق صدره : « هو الجبل ، لا مزحزح له » بل كمن يتأهب ليغط في نومه : « هو القضاء فمن يدفعه؟ » وكأني بهم يخشون ان لا نفهم على احسن وجه واكمله ، ضرورة الرضى والقناعة والخنوع والتسليم ، فهم يأتوننا ببرهان لايقطع قطعاً ، لكن يخز وخزاً • يقولون لنا : « ان العين لن تقاوم المخرز • » اما التاريخ فقد عرف حواراً يدور بين تلك العين وذلك المخرز •• ودائماً كان ينبت للعين ظفر وناب •

عمر فاخوري

حنين

في وحشةِ الليل والسكونُ　　　يلفّني ، عادني الحنينُ
الى ليالٍ مضت ، عذابٍ　　　يسوقها اللهوُ والمجونُ
ورشفةٍ من رحيقِ ثغرٍ　　　مفلّجٍ ، حبّه فنونُ
ذي لثغةٍ بعضها دلالٌ　　　ومبسمٍ كلّه فتونُ
ألفاظه ضمخت بطيبٍ　　　يبثه سوسنٌ مصونُ
من حقتي صدره وفلٌّ　　　على التراقي وياسمينُ

* *

نشوانُ والكأس في يديه　　　تكاد تهوي فيستعين
يتمتم القول ما يبالي　　　أيُبهم القول ام يُبينُ
فكلما زاده غموضاً　　　تداركت شرحه العيون

* *

وسادتي حلمُها ربيعٌ　　　ومنهلي خمره معينُ
في مرتعٍ دافئٍ [illegible]　　　أناملٌ همّها جنونُ
تدبّ طياشةً فتقسو　　　في سكرةِ الحب او تلينُ

* *

عيناكِ والشعرُ في افترارٍ　　　ازهى من الفجر والجبينُ
تظلّ كالنور في اختلاجٍ　　　من بعض ما كانَ او يكونُ
قيثارةٌ هاجها اشتياقٌ　　　فكل اوتارها رنينُ

* *

يفيض ليلي بذكرياتٍ　　　ليست مدى الليل تستكينُ
كأنما في يدي وقلبي　　　مسكٌ واغنية دفين

* *

يا ضيعة العمر في اعتزالٍ　　　يلفه الليل والسكونُ

يوسف غصوب

بشار بن برد

بقلم مارون عبود

مدير الجامعة العربية بعاليه



لا متسع لدرس عصر بشار ومحيطه اللذين يعرفهما كل متأدب ، ناهيك ان بشاراً ابن الغريزة العمياء الموروثة ، فما رأينا له ضريباً الا نفراً تتلمذوا له فاعداهم . ليست الاوبئة النفسانية باقل عدوى من الامراض السارية ، وليس بشار اول المتهتكين ولا آخرهم ولكنه تفوق على كل من تقدموه بثروته الشاملة كل ما تواضع الناس على تقديسه فكان يزدري تقليدهم ، وعرفهم ، وعاداتهم ، ونواميسهم ولولا فنه الاصيل لأحصيناه مع السفلة الرعاع .

ولكن فن هذا الاعمى الوقح ، ونظراته البعيدة المدى تستهويني فاغلو في تقديره . يدهشني قوله عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته . وازداد دهشة اذ اقابل قوله هذا بقول بول فاليري زعيم الشعر المحكك في فرنسا ، ففاليري يدعو الشاعر والكاتب الى الخلوة في الغرفة السوداء لتأمل ما تصور وكتب .

اما بشار فكان في غرفة ابدية الظلام ، لم يعش قط الى ضوء النار التي قدسها وقدمها على الطين ... فقضى عمره بين نارين . شهواته وفنه . فلننظر اذن في سجاياه قبل فنه لان هذا ابن تلك وان كانت جميعها لا ترضي فما رأيت فناناً خلا من كريمة مثل الشيخ بشار .

كان بشار خائفاً على شعره فقال : ازرى بشعري الاذان .

فجاء الجاحظ بعد قليل وقال : ومن خطباء الامصار وشعرائهم والمولدين منهم بشار الاعمى ، كان شاعراً راجزاً سجاعاً خطيباً صاحب منثور ومزدوج ، وله رسائل معروفة ، وهو اطبع شعراء زمانه كلهم . ثم جاء ابو الفرج فاقتفى اثر يوحنا الانجيلي في تدوين سلسلة نسب بشار فبلغ به الى ادريوس بن يشتاسب بن يهراسب الملك . وقال آخرون بشار مولى وابوه طيان . وسواء عندي أكان ابن طيان ام صنو كسرى انوشروان فقد كان هوراس ابن مولى وفرجيل ابن حطاب . يعنينا مما ذكره ابو الفرج هذه الكلمة التي ختم بها تلك السلسلة الملكية «ويكنى بشار ابا معاذ ومحله في الشعر وتقدمه في طبقات المحدثين فيه باجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك » .

فكيف اتته الرياسة منقادة ، وما هي الخصال التي جعلت منه زعيما لا خلاف فيه ، قال تين : الشاعر ابن العرق والزمان والبيئة وبشار هو حقاً ابن عرقه وزمانه ومحيطه . قد نظلم عصر بشار اذا جعلنا هذا الفاجر الفاسق مثالا له . كان في ذلك الزمان اناس فضلاء يقولون : اما لهذا الاعمى من يبعج بطنه ، قد نكون — اذا اتخذنا بشاراً وعصابته نموذجا لعصره = كمن يزور مواخير بيروت وملاهيها ولاليها بكنائسها ومساجدها ومدارسها وجامعاتها وديورتها ونواديها الادبية ثم يقول بيروت مدينة لهو ودعارة . لسنا نطهر ذاك المحيط فخطبة زياد تكذبنا ، وهذه النواة — اي بشار — لو لم تصادف تربة

ذات حرارة ورطوبة ملائمتين لاحتضانها لما انفلقت وجنت جنوناً ورأينا لها اخوات .

لا يعنينا ان يكون بشار خفيف الظل او ثقيله ، وسواء عندنا احبه الناس ام ابغضوه ، ولا يهمنا صدقه أو كذبه فالفن كذب كله . ولست اتطلب ديواناً ضخماً لأحكم على فن بشار فحسبي ما وصلني من شعره . رب كتاب صغير يضم بين دفتيه نفساً كاملة تامة الخطوط صادقة الالوان .

يرينا شعر بشار شيئين في وقت معاً : اباحية بشار وانحطاطه، وسمو قريحته وفنه . فبشار بن برد اناني من الطراز الاول ، كأنه انسان لارشفوكولود الذي لا يهدأ ابداً ، فلا يقف عند الاخرين الا كما يقف النحل على الزهر ليمتص منه ما هو بحاجة اليه . بشار معجب بنفسه معتد بها وحسبك بابن طيان يصبح نداً لكسرى انوشروان فيقول وهو من عرفنا .

نبئت بائع عرضه يغتابني عند الامير ، وهل عليّ امير
ناري محرقة وبيتي واسع للمعتفين ، ومجلسي معمور

ادعر فاسق ، شموس حرون ، غضوب جسر كناقة عنترة . لا تردعه النصيحة ولا يتأثر باحد . عدو الجميع ثائر على النظم جميعها تمهيداً لشهواته المتأججة . فاتك جسور لا يثنيه عن غيه لجام ولا تكبحه الخزامة .

أمامة قد وصفت لنا بحسن وانا لا نراك فالمسينا

فكان من امرهم ما كان ولكن بشاراً خلي من حساسات الحياء ، والحياء بالنظر . يبتهر بالمعائب وكره الناس . ما احب الا بنيه . متقلب كأبي براقش . يخفر ذمة بني عقيل كما يزدري الدين والمعتقد . يهجو الخليفة كما يهجو الخياط والقصار يذري كيفما طابت له الريح ولا كبير عنده الا الجمل . هو على حد قول رابليه يبكي كالبقرة ويضحك كالعجل . لا يحرص على شيء حتى على فنه ، يبذله ارضاء لربابة ربة البيت وطمعاً باكل البيض طازجاً . فلسفته در مع الزمان كيفما دار .

وما انا الا كالزمان اذا صحا صحوت ، وان ماق الزمان اموق

مادي ممتلىء شبقاً ، زنديق اذا خاف ، ملحد حتى الهذيان اذا اطمأن . ليس الدين عنده شيئاً ولا الفروض ولا الصلاة . من يقبلها تقاريق لا يرفضها جملة . الحياة عنده في اللحم والعظم . لا يردعه الا الخوف على جلده .

انا والله اشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

شاب وما تاب ، ظلت نفسه خضراء في السبعين ، أذن في الضحى وهو سكران فكأن المتنبي يعنيه بقوله :

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم

الحياة عنده هوى عاصف وشهوات كالتنور المسجور . وهكذا كان له مدرستان واحدة علمت الجسارة والفتك ، واخرى علمت الفن لم يحث الا على مكرمة واحدة وهي رعاية الصديق ، ولكنها كقول الدهري . خلق الله السموات والارض ، لانه لم يكن له صديق ولم يرع عهداً .

يصوب مدفع فنه الى حصنين : المرأة والصندوق .

عسر النساء الى مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمحا
تعطي الغزيرة درها فاذا أبت كانت ملامتها على الحلاّب

هو لا يمدح ريحانة قبل شم ، هائج كالبركان . الحياة عنده مأدبة يجب ان تتنوع الوانها لتقوّي شهوة النهم ، وقد قال لبعضهم لا تصيروا مجلسنا هذا شعراً كله ، ولا حديثاً كله ، ولا غناء كله فان العيش فرص ولكن غنوا وتحدثوا وتناشدوا وتعالوا نتناهب العيش نهباً . قوي الميل حتى الغضب والبهيمية .

الصق بي لحية خشنت ذات سواد كأنه الابر

يتبع هذه الغريزة كما يتبع الملاح نجمة القطب ، شعاره للوقاحة والفتك

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

اذا كان الانسان اضغاث ميول كما يعلم علم النفس فميول بشار نطاحة . يقولون ان الميل قوة عظمى اذا وجهته الارادة واداره العقل ،ولكن ميل بشار عنيف خلق منه لص اعراض ومجرماً خطراً على المجتمع . ناهيك ان ميل بشار لم يعرف الشيخوخة فكان في السبعين ، طور السأم والهرم ، كأنه ابن عشرين . كل شيء محلل وصاحبنا جوعان دائماً ، ينطح الزاد كلما رآه ، زودونا يا عبد قبل الفراق . وقد عرف اعوجاجه هذا فاعتصم (بالجبرية) فقال مبرئاً نفسه .

طبعت على ما في غير مخير هواي ولو خيرت كنت المهذبا

لم يقعد ولم يتوان عن طلب المال فلم يحل عماه دون الاسفار والزيارات المثمرة .

يسقط الطير حيث ينتثر الحب وتغشى منازل الكرماء

وقد اعترف بهذا اذ قال : دخلت على الهيثم بن معاوية ، وهو امير البصرة فانشدته :

ان السلام ايها الامير   عليك والرحمة والسرور

فسمعته يقول : ان هذا الاعمى لا يدعنا او يأخذ من دراهمنا شيئاً ، فطمعت فيه فما برحت حتى انصرفت بجائزة . ان حجة بشار تعمل دائماً لاتمام رغائبه ، فما هجا الا ليستدر ، وما نظم شعراً لنائحة او مغنية الا ليفوز منها بشيء ، وما تغزل الا ليستهوي ويغوي وما مدح الا ليجاز . كان فنه احبولة صيد ، والفن مكار . قد يكون للتقاليد والعرق يد عظمى في توجيهه فما عصمه اسلام ، ولا حجبه شرع او حد . اما اجاب جواري المهدي   ونحن على دين كسرى ، حين قلن له انت ابونا .

ان بشار عبد اللحم والعظم ، لقد كان مصاباً بحمى الحياة ولم يفارقه الدور حتى ضربه المهدي ضرب التلف والقي في البطيحة

وقد يدلنا خلقه على خلقه ان كان كما وصفه حماد عجرد

واعمى يشبه القرد   اذا ما عمي القرد

او كما قال فيه آخر .

ان بشار بن برد   تيس اعمى في سفينه

الطاقة البشارية

روى الاصفهاني عن بشار فقال : لما دخلت على المهدي قال لي : فيمن تعتدّ يا بشار ، فقلت : اما اللسان والزي فعربيان ، واما الاصل فعجمي كما قلت يا امير المؤمنين :

نمت في الكرام بني عامر   فروعي واصلي قريش العجم
واني لاغني مقام الفتى   واصبي الفتاة فلا تعتصم

وكان ابو دلامة حاضراً فقال : كلا ، لوجهك اقبح من ذلك ووجهي مع وجهك . فقلت : والله ، ما رأيت رجلاً اصدق على نفسه واكذب على جليسه منك . والله ، اني لطويل القامة عظيم الهامة ، تام الالواح اسجح الخدين . ولرب مسترخي المزورين للعين فيه مراد قد جلس من الفتاة حجزة ، وجلست منها حيث اريد . فانت مثلي يا مرقعان . لم يكذب ابو دلامة ، وقد رحم الله بشاراً فأعماه لئلا يفجعه برؤية قبحه .

وان قيل من كان هذا شكله وتلك سجاياه ، فاي فن سام يخرج منه . قلت : الوردة والتفاحة والبيضة من بنيات المزابل . ومن هذه الدمنة التي سميت بشاراً بسقت فروع الشعر مخضلة ، فلنبحث عن الطاقة Energie البشارية .

لا يفرق علم النفس بين جهد وجهد ، فسيان عنده جريح يتجلد في سبيل المجد والوطن ، ولص يصبر على جرحه خوفاً من الفضيحة والسجن . فأنّى توجهت ركائب طاقة بشار فهي طاقة ولها الاولية بين خصاله . فلولا جهده العنيف المستمر لظل لعبة الصبيان وكرة يتلقفها من لا يرحمون ذا عاهة بل يقولون : «اضرب الاعمى واكسر عصاه ما انت خير من ربه الذي اعماه . »ان هذه الطاقة المتقدة قد سيرت بشاراً نحو الابداع المستمر والدليل قوله : لم ازل منذ سمعت قول امرىء القيس في تشبيه شيئين بشيئين في بيتين حيث يقول :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي

حتى قلت :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

لا يعني هذا انه سرق امرأ القيس كما ظن احدهم فالتخيل لا يبدع مادة جديدة بل يقتصر على جمع بعض الصور الى بعض ، فيحلل ويركب ويصغر ويكبر كما عمل بشار . ان ارادة بشار مسلحة بقريحة عجيبة وقوة بادرة ، وشدة عارضة يخفرها العقل الذي ألزمه عمود الفكر فيما نظم . اضف الى هذا كله ذوقاً مرهفاً مكنه من نقد شعره ادق نقد فجاء كلامه نقياً كأنه الفضة المسبوكة ، فقصرت قصائده ولم تتشعب اغراضها ، وقد قال بشار في هذا : لم اقبل كل ما تورده عليّ قريحتي ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري . نظرت الى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطف التشبيهات فسرت اليها بفهم جيد وغريزة قوية فأحكمت سبرها وانتقيت حرها ، واحترزت من متكلفها .

لا بد للشاعر الكبير من مخيلة قوية ، ومخيلة بشار اشبه بطائر يطير بجناحي الحساسة Sensibilité والانتباه . وان قيل ماذا يدرك الاعمى المسكين اجبنا مع علماء النفس ان الانسان "مدرك بغير عينيه . وقد دلنا بشار على هذا قبل علم النفس الحديث فقال :

ان سليمى ، والله يكلوها   كالسكر تردداه على السكر
بلّغت عنها شكلاً فأعجبني   والسمع يكفيك غيبة البصر

ثم قوله لعبدة :

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب

فما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع الاذنان الا من القلب

افلا يؤيد كل ما جاء في علم النفس عن الهوى والهيجان والتخيل والاحساس وغير ذلك من فصول ، وما علينا لو اقحمنا هذا الشيخ المعظم بين جيمس وريبو وبرغسن وغيرهم ، فقد خلق بذكائه وانتباهه الشديدين ما لم يخلقه الملايين من البصراء ·

الانتباه خاصية اولى في العميان يدلك عليها تقلص عضلات جباههم وارتفاع حواجبهم والاخاديد الافقية · ولكن ليس كل اعمى قوي المخيلة فياض الذهن والقريحة كبشار ليخلق مثله · وما يضر فقد البصر فالسمع والشم والذوق وغيرها من الحواس الاخرى صور تالية (Image consécutive) كما للنظر ، والصور التالية بنت الاحساس وهو من اصدق صفات بشار التي انمت مخيلته · روى ابو الفرج قال : مر ابن اخ لبشار ببشار ومعه قوم · فقال بشار لرجل معه : من هذا · قال : هذا ابن اخيك · فقال بشار : اشهد ان اصحابه سفلة · قال : وكيف علمت · قال : ليس عليهم نعال ·

ليس الان وقت القاء درس في الانتباه واثره في الفن ولكننا نقول ما لا بد منه لموضوعنا اي انه يجمع ملكات العقل حول نقطة واحدة · وانتباه بشار تجمع كله حول مخيلته فصح في بشار ما زعموه عن العبقرية ، اي انها القدرة على جمع الفكر حول موضوع واحد مدة طويلة ·

ومن مميزات بشار الحس البديعي Sentiment esthétique فالهيكل البشاري (دينمو) احساسات مختلفة تخلق طاقته قوى وانواراً مدهشة · وهذا الحس البديعي الذي تتعب في مراده الاجسام حمل بشاراً على تسمية (الرقيق) و (البردان) ، وعلى تصوير الطيور في جامه · وهو الذي وجهه صوب السخر اللاذع واستطابة النوادر وابداعها ·

هذه عناصر بشار الغريزية اما عناصره الاكتسابية فهي ثقافته الشاملة ، ان صح التعبير ، والا قلنا اطلاعه الواسع على معارف عصره ومقدرته الجدلية ، فقد كان شيخنا من ابطال هذا العراك وله فيه حجج وبراهين شعراً ونثراً · اما الادب فعرف منه الغالي والرخيص ونقده نقداً عجيباً · قال مروان بن ابي حفصة : قدمت البصرة فأنشدت بشاراً قصيدة لي واستنصحته فيها · فقال لي : تقدم بغداد فتعطى عليها عشرة الاف درهم · فجزعت من ذلك وقلت : قتلتني · فقال : هو ما اقول لك · ثم قدمت عليه فأنشدته (طرقتك زائرة فحيّ خيالها) فقال : تعطى عليها مئة الف درهم · ثم عدت الى البصرة فأخبرته بحالي في المرتين وقلت له : ما رأيت اعجب من حديثك · فقال : يا بني ، اما علمت انه لم يبق احد اعلم بالغيب من عمك ·

اما بصره بالغريب فامكنه من فهم سر كل لفظة فحملها ما تستطيع تأديته واحلها محلها بين اخواتها لتؤدي فكرته التي بدت كالبحر الهادئ ، تبصر قعره بعينيك وهو عنك بعيد ·

واذا كان لمركب النقص عمل في الانسان كما زعموا فعمى بشار وقبح منظره حملاه على التسامي Sublimation في فنه ، فشأنه في قبح منظره وعماه شأن عنترة · ذاك استغل سواده فنياً وهذا اندفع ليبذ الكاملين · اما تهالكه على الملذات فقد اذكاه الكبت Refoulement فلذات بشار بقيت منقوصة ولم يرو غلته كل ما ارتكب من الموبقات · ولئن بقيت طاقته فتية في الهرم فهجا الخليفة وسب الوزير فسلاح هذا الرجل لسانه ، وبه رد الثقلاء عنه وانفتحت له ابواب القصور ·

خبرونا انه كان يعطي ابا الشمقمق مئتي درهم في كل سنة · وبلغ ابا الشمقمق ان بشاراً اعطي عشرة آلاف درهم فوافاه فقال له يا ابا معاذ ، اني مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون ·

هالليته ، هالليته طعن قناة اتينه
ان بشار بن برد تيس اعمى في سفينة

فاخرج اليه بشار مئتي درهم فقال : خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا ابا الشمقمق ·

لا نعجب ان رأينا الشاعر الكبير الموهوب يخاف هراً كهذا فمن يسقط من علُ في صغره لا يجرؤ في كبره على تسور حائط عال فيما بعد · وشاعرنا ذاق طعم عبث الصبيان صغيراً فآثر ارضاء من يهوشهم ·

واذا صح قول ابيقور في ان السعادة في الجمود وفقدان الشهوات فبشار لم يسعد يوماً في حياته ، فهو من المتفائلين ولا شك ان تنفسه لم ينقص عن سبع عشرة مرة في الدقيقة ، ولم يكن نبضه قط عاديا فهو رجل ملاذ ومسرات · ظل من فنه في جهد جهيد ينفق من طاقة لا تنضب ، فكان كالدجاجة الرخمة لا تبرد ولو طمرتها بالثلج بل تنتفض وتعود الى بيضها تحضنه ·

مارون عبود — عاليه

الصالونات الادبية عند العرب

بقلم عبد العزيز احمد

رئيس قسم المعاجم بمجمع فؤاد الاول
ومدير كلية فاروق الاول الشرعية ببيروت

•

عرف العالم العربي نشاطاً ادبياً خصباً في جميع العصور والاقطار الا فترات وجيزة انتابته فيها الاحداث وكأنها كانت لحظات استجمام وتحفز لوثبة جديدة كادت تبلغ به الاوج في العصر الحديث . والادب العربي حافل بالصور الرائعة من مظاهر هذا النشاط واثاره والبيئات التي اثمر فيها . على ان الذي نريد ان نتبينه هو حظ المرأة من كل هذا ، ومقدار مساهمتها فيه واثرها في توجيهه فضلًا عن المشاركة فيه ، واية امرأة يمكن ان نتخذها مثلا للنشاط ورمزاً للنهضة الادبية النسائية ؟ ثم هل كان له من الظواهر والآثار في ادبنا مثل ما عرف العالم الاوروبي للمرأة من مساهمة في ادبهم ونشاط في سبيل احيائه ؟

تلك اسئلة ربما جالت بالخاطر وقد يكون الجواب عن بعضها حاضراً ، وبعضها الاخر يحتاج الى فضل تأمل . اما في الغرب فقد لهج الاوروبيون بفضل المرأة على الادب واثرها فيه وعنوا بالكتابة فيما سموه الصالونات الادبية ونسميه مجالس الادب او الندوات الادبية .

وكتب الادب الاجنبي حافلة بانواع شتى لهذه الصالونات وصور مختلفة لها في الممالك الاوروبية . والذي يعنينا هو الاجتماعات التي كانت تعقدها سيدات الطبقة الراقية في قصورهن يختلف اليها الادباء والشعراء وذوو الرأي ، تدور فيها المناقشات الادبية وتثار المشاكل الاجتماعية وتجول فيها الآراء وتصول في شتى الموضوعات ، ويخرج كل وقد ادركته نفحة زكية من نفحات تلك المجالس فاستوحى فكرة جديدة او عدل عن رأي اطمأن اليه ، او مذهب اعتنقه .

ونحن نعرف ان اقدم هذه الصالونات كان خير اداة لنقل اداب الامم الاخرى وتذوقها . كان ذلك في انكلترا والسويد وغيرهما من الاقطار الاوروبية . ولعل الكثير لا يجهل هذه الصالونات التي عرفتها فرنسا وكان لها اثر عظيم في احياء الادب الفرنسي وازدهاره

على ان شيئاً واحداً جديراً بالملاحظة وهو ان اقدم هذه الصالونات لا يبعد به العهد الى اكثر من اربعة قرون ، اعني انها عاصرت نهضة الادب الاوروبي وظهر اثرها مع ظهور شخصيته . فاذا التفتنا الى ادبنا العربي الفينا الظاهرة نفسها واضحة بينة ورأينا الندوات والمجالس الادبية تحتل منه منزلة رفيعة ، ولكنها ليست حديثة حداثة نظيرتها في الادب الاوروبي بل هي بعيدة العهد طويلة العمر على قدر ما قطع الادب العربي من اجيال ومر به من تطورات فلا عجب ان قلنا ان اقدم هذه الندوات يرجع الى ابعد من اربعة عشر قرناً غير انها لن نعرض للجاهلية وما عرف عنها ، ولن نتحدث عن قصور الخلفاء والامراء واشباههم وما كان لهم من فضل وما بذلوا من عناية . سنعدل عن كل اولئك الى بيئة تتصل بصميم الشعب رجاله ونسائه ، يمكن ان نرى صوراً منها في عصور التاريخ الادبي من قلب الجزيرة العربية الى الاندلس بيئة الفن العربي الجميل والادب الرفيع .

وقد يكون من الخير ان نبدأ بالحديث عن النساء في العصر الاسلامي الاول في قلب الجزيرة العربية وما تاخمها لدفع توهم ان المرأة العربية في ذلك العهد لم تعرف هذا النشاط ولم تساهم او تؤثر فيه ، ونفي مظنة ان الجواري وحدهن كن مبعث ذلك النشاط ومحور كثير من الحركات الادبية ، فان هذه فكرة خاطئة لو جالت برأس احد ينقضها وجود العدد الكثير من العربيات الحرائر اللاتي لا يرقى اليهن شك في خلق او دين لو ضربناه مثلًا .

ولكنا سنعدل عن ذلك ونعبر بحر الروم الى الاندلس حيث مدينة قرطبة الزهراء . وارجو الا يرى المستمع الكريم في هذا الانتقال امعاناً في البعد عن موطن العرب الاول ومهد لغتهم وادبهم فلم ينس احد ان ابناء هذه البلاد هم نسل اولئك ، فهم خلاصة العرب اليمنية والعدنانية ، وان الدولة الاموية ان زال سلطانها من الشرق فقد بسطت ظلها على الاندلس قروناً ، على ان الاهم في نظرنا هو ما كان للاندلس من اثر في نقل الحضارة العربية الى الغرب وما لها من فضل في بعث النهضة الاوربية ، فكانت مناراً يشع نوره على الشرق والغرب معاً .

فاذا كنا قد اشرنا الى الصالونات الادبية في الغرب للمقابلة والموازنة فلا علينا ان تحدثنا عن بعضها في اقرب الاقطار اليه واشدها اتصالا به وتأثيراً فيه ، واخترنا اديبة اندلسية تمثله ، عاشت حياتها في قرطبة حاضرته وعاصمة عواصمه ، اخريات عهد الدولة الاموية ، فادركت انهيار سلطانها وبدء عهد ملوك الطوائف اوائل القرن الخامس الهجري (او القرن الحادي عشر المسيحي)

تلك هي ولادة بنت المستكفي

عرفت قرطبة وهي جنة الدنيا تجلت فيها قدرة الخالق وبديع صنعه وعملت فيها يد التنسيق والتجميل ، فاجتمع لها من العظمة والجلال ، والروعة والبهاء ، ما جعلها حديث العالم ، واشتهر اهلها بالتأنق في الملبس والعناية بالمظهر وتجلى فيها حسن الذوق ، واتسموا بالرقة والظرف ، ونعموا ما شاءوا في ظلال العز وتمتعوا بلذائذ الحياة ومباهجها ، كما كانت قرطبة مركز العلماء ومنبت الادباء واليها رحلة الكتاب والشعراء على حد تعبير نفح الطيب وغيره .

في هذه التربة الزكية وفي هذا الجو المرح الجميل نشأت ولادة وترعرعت حتى لمع في سماء قرطبة نجمها بعد ان افل نجم ابيها المستكفي الخليفة الاموي بزوال سلطانه وانقضاء دولته وقيام حكم ابن جهور من ملوك الطوائف .

جمعت ولادة الى بارع جمالها وخفة روحها وحلاوة نكتتها ، سعة اطلاع في الادب وشغفاً به وغراماً بنظم القريض . فكانت اديبة بين الادباء وشاعرة في عدادهم ، تتذوق الغناء وتحسن صنعه فاكتمل لها ما شئت من جمال خلق ومليح دل . عاشت عذراء حتى بلغت الثمانين ، ذاقت فيها حلو الحياة ومرها وتقلبت بين اعطاف النعيم حيناً وذاقت مرارة الالم آناً . فلا غرو ان يكون قصرها حافلاً برجال الادب وكعبة للشعراء يستبق اليه اعيان قرطبة واشرافها ، يسمرون في ناديها ويتبارون في حضرتها تساجلهم ويساجلونها وتحاضرهم وينشدونها ، ويتندرون بالنكتة ويروحون عن النفس بما يشنف الآذان ويطرب الفؤاد . فكانت مصدر وحي والهام لفريق ، ومثار الحسد والغيرة لآخرين ، ولكنهم يحنون اليها ويتهافتون عليها على كل حال . وكان اشدهم ظهوراً في مجلسها واقواهم اتصالا وتاثراً بها فتاة احبتها واصطفتها ، تلك هي مهجة القرطبية من اجمل نساء زمانها وصاحبة ولادة وتلميذتها ، تأدبت بادبها وشربت من دنها وافادت من خفة روحها فلمع نجمها الى جانب ولادة في مجالسها .

اما الرجال فهل ننسى منهم الوزير بن عبدوس من كبار رجال قرطبة واعيانها ؟ او ابا عبد الله البطليوسي من سادة ذلك العصر؟ اونجهل ذا الوزارتين ابا الوليد بن زيدون الشاعر الناثر ، فقد هاموا بحبها وحاول كل الاستئثار بودها ، فجرت بينهم المنافسات ومشت السعايات ، وكان لولادة معهم نوادر وحوادث ولها بهم صلات ، انطقت ابن زيدون باروع الشعر واثارت في نفسه ارق العواطف واوقعت بينه وبين ابن عبدوس ابغض فرقة ، وكان ذلك مصدر عبث ودعابة تارة وتهكم لاذع وهجاء مر تارة اخرى

وما كان انين ابن زيدون في شعره الا صدى لهجرها ، وغناؤه وحنينه الا شوقاً الى ودها ، وعبثه الا من وحي خاطرها ، ولهوه الا صورة لحياة عصره وادب جيله . واذا كنا نحفظ لابن زيدون قوله :

ودع الصبر محب ودعك   ذائع من سره ما استودعك

او سمعنا قوله :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا   شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا   يقضي علينا الاسى لولا تآسينا

او مناجاته الليل :

يا ليل طل لا اشتهي   الا بوصل قصرك
لو كان عندي قمري   ما بت ارعى قمرك

او انينه :

ما الذي ضرك لو سر   برآك الحزين
وتلطفت لصب   حينه فيك يحين

فيجب ان نذكر ان ولادة هي طيف خياله ومصدر احلامه ومبعث آلامه . واذا قرأنا رسالته الهزلية يعبث فيها بابن عبدوس ويتهكم عليه ، فلنعلم ان ولادة هي التي اوحت بها ودفعته الى تحبيرها . واذا كنا نحفظ لابي نواس في مدح الخصيب والي مصر قوله :

انت الخصيب وهذه مصر   فتدفقا فكلاكما بحر

فلنذكر ان ولادة احسنت الاقتباس وبرعت في قلب المعنى من المدح الى الذم وعرفت كيف تعبث بابن عبدوس حين رأته امام داره يملؤه الكبر والعجب بين جلاسه ، وامامه بركة تجمعت فيها مياه الامطار وتلوثت بالاقذار . رأت ولادة هذا المنظر القبيح فنادته : يا بن عبدوس ! . فابتهج واقبل عليها بسمعه وبصره فما زادت على ان اشارت الى البركة وانشدت البيت :

انت الخصيب وهذه مصر   فتدفقا فكلاكما بحر

فبهت لسماعه وخجل من جلاسه

وكثيراً ما نظمت الشعر شوقاً لمن تحب ، او هجاء لمن تبغض وهي دائماً في كل قلب وملء كل سمع وبصر ، هذه ولادة الاديبة الشاعرة التي استطاعت ان تؤثر في جيلها وان تلهم الشعراء اعذب الشعر وان تشاركهم في ادبهم واحاديثهم وتفتح دارها لاستقبالهم .

فمتى كان ذلك ؟ لقد كان في القرن الخامس الهجري او الحادي عشر المسيحي كما قدمنا . فهل بعد هذا نكون مبالغين ان قررنا ان العرب عرفوا الصالون الادبي قبل غيرهم وان المرأة العربية كانت سيدة صالون بالمعنى الصحيح ، وان مجالسها لم تكن لتقل روعة وجمالا عن ارقى الصالونات لشهيرات النساء في العصر الحديث؟

عبد العزيز احمد



يا هاجري اين الزمان العتيق ··· وموعد حلو وعهد وثيق

ايام روينا الليالي منى ··· والضوء في اقصى الفضاء السحيق

تعبث بالصبح مواعيدنا ··· فالصبح في ما نتمنى غريق

ايام ينهل على رغبة ··· منا فضاء بالضياء الدفيق

او يختفي حرامة أعراسنا ··· خلف ستار من غمام رقيق

أمات ذاك الحب ذاك الذي ··· سلسل نفسي فجر شعر طليق

واطفئت شعلتنا وارتوت ··· منا الليالي والصباح الفتيق

وأقبل العمر شتاء على ··· اجوائنا والثلج عرض الطريق

يا هاجري ما زلت صنو الصبا ··· أرفل من اردانه بالعقيق

ليلي كأس وانا الشارب الحب ··· رحيقاً قبل كون الرحيق

فعد الى مضناك واشرب كما ··· كنت بكأس وتمل البريق

عد يسعد الورد بنا مرة ··· أخرى ويندى طيبه المستفيق

صلاح لبكي

الحرب والادب

بقلم جان غولبه

بين عامي ١٩١٤ و١٩١٨ كثر نقاش نقدة الادب ومؤرخيه في موضوع التغييرات البليغة التي ستحدثها الحرب، ولا مراء، في اساليب التفكير والتعبير. وكان من المتوقع ان نشهد تجديداً بعيد الاثر في الانواع الادبية، اذ يستحيل ان لا يكون لتلك السنوات الاربع التي تمرست البشرية خلالها باشد التجارب وادهاها، اثر ما في احساس الناس وخيالهم.

لكن – ويا للعجب – لم يكن من هذا شيء.

ان الناظر الى المحصول الادبي في مختلف البلدان الاوروبية بين عامي ١٩١٩ و١٩٣٩ (ما خلا روسيا التي انتجت ادباً جديداً خاصاً) ليحسب ان الحرب العظمى الماضية لم تقع. فقد كانت حتى المؤلفات التي تعنى باحداث الحرب، بالغة من الركاكة غايتها، خلواً من المتاع الفني. ولا يذكر في فرنسا من تلك المؤلفات سوى ما اخرجه جورج دوهامل وكتاب «النار» لهنري باربوس. اما ما بقي من قصص وضعت بعجلة، او بحوث تاريخية غير مستوفاة التحقيق، فقد سقط، بحق، في هاوية النسيان. كذلك لم تتمخض الحرب بكاتب كبير واحد، فان ائمة الادب الفرنسي في ذلك العهد، وهم بروست واندره جيد وبول كلودل وفاليري، نشأوا وذاع صيتهم قبل سنة ١٩١٤. اما الكتاب الشباب، امثال جول رومان وجيرودو ومورياك وموروا، فليسوا مدينين بشيء من فنهم، لتلك الحرب التي اجتازوها محاربين. وقد ظلت القصة اكثر انواع الادب شيوعاً، شأنها قبل سنة ١٩١٤.

فهل يكون الامر كذلك هذه المرة ايضاً؟ ترى، ألن نشهد في ختام هذه الازمة التي يتخبط فيها العالم، ازدهار مواهب ادبية جديدة؟ هذا سؤال جدير ان يطرح اليوم على الكتاب واهل النظر، كي يدلوا فيه بآرائهم.

اما انا فاعتقد اعتقاداً جازماً بان هذه الحرب ستمنح فرنسا على الاقل، التجديد العظيم المنتظر. فان ثمة عدة انواع من الحروب، بعضها نزاع بين شعبين على اقليم او على مصلحة مادية ما، ولكن البعض الآخر يكون بالضد، بمثابة انقلاب اجتماعي حق، او زوبعة فكرية او مبدأية يخرج الانسان منها متغيراً في اعمق اعماقه.

فالنوع الاول من الحروب لا يكون له اثر بليغ في الادب كحروب لويس الرابع عشر مثلاً. فان ادب القرن السابع عشر لا يذكرها مطلقاً ولم ينفعل بها. ان موليار وراسين وبوالو وبوسويه كانوا يبقون هم هم، حتى لو لم يقم لويس الرابع عشر بحرب هولانده او حرب اسبانيا، وكذلك كانت حروب القرن الثامن عشر وحرب السبعين التي لم يكن لها في الادب الا اثر ضئيل. فالرمزيون والواقعيون، وبالارمه وتولا ليسوا مدينين لنتيجة المعارك الحربية بشيء. كذلك حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ اذا نظر اليها في ذاتها، فهي من هذا القبيل الى حد ما، الامر الذي يفهمنا كيف انها لم تحدث في الاذهان ذلك التجديد الاساسي المنشود.

وتختلف عن هذا الضرب من الحروب، النزعات العالمية التي لا تهز الممالك فحسب، بل الافراد ايضاً، فغارات البرابرة التي نشأ عنها انهيار الامبراطورية الرومانية، وحروب القرن السادس عشر الدينية، وحروب الثورة الفرنسية هي ضرب آخر من الحروب. وكذلك حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ التي لم تكن – كما قال دوغول وقد اصاب – سوى القسم الاول من حرب الثلاثين سنة الحاضرة، فينبغي ان ينظر اليها مع كل لواحقها التي نحيى اليوم بتجاربها الشديدة.

ان كلاً من تلك الانقلابات الفكرية او المذهبية، سواء القومية او الفردية، ادى بعد استتباب السلم الى طريقة جديدة في الاحساس والتفكير. فعقيب القرن السادس عشر الدامي العجيب الهائج شهدنا الازدهار الكلاسيكي وعقيب العاصفة الثورية كان المذهب الرومانطيقي. وعقيب الثورة الروسية نشأ الادب البروليتاري او ادب العمال، ولا بد، بعد حرب الثلاثين هذه من ان نشهد حركة مماثلة. قال ديدرو متنبأ بما سيحصل تنبأ صادقاً: «انما يولد الشعراء بعد الحروب العظمى. فأكاليل ابولون لا يزدهر الا في الدم.»

والآن، ترى كيف تكون الحركة الآتية؟ من العسير الاجابة على هذا السؤال بدقة. لكن المجرب ان نحدس حدساً مبنياً على العناصر

المختلطة التي يصح ان نستخلصها مما يصل الينا من اصداء الاحداث الاوربية .

فأولا ، ارى ان القصة ستخسر من اهميتها ، او بالاقل بعض صيغها التقليدية ، ان ادب القرن العشرين سيكون ادب اناس معجلين ، وسيكون اشد اتصالا بالنوع الصحفي منه بالنوع الكتبي لهذا سنشهد شيوع الحكايات والقصص القصيرة اكثر من القصص الطويلة العريضة .

وثانياً ان الشعر سينبعث ، كل القرائن تنبيء بهذا الانبعاث في فرنسا حيث ينبغ نفر من الشعراء الشباب المجهولين بالامس ، والذين سيكونون لوطنهم الجديد صوته المدوي . شعر بسيط ، مفعم احساساً بفعل ضروب البؤس الطارئة ، مولود بالاغاب في معسكرات الاسرى او في سجون الطغيان الفاشستي .

كذلك سيتسع المجال في الشعر والقصص ، للطبقة العاملة التي جهلها الكتاب حتى اليوم اكثر مما ينبغي . ان الروس وحدهم ، منذ سنة ١٩٢٠ ، سبقوا الى استثمار هذا الحقل الخصب الجديد الممتع ، وكنت ورفاقي من دعاة الحركة « الشعبية » جيونو الكاتب الفلاح ، وراموز الجبلي السويسري ، نعمل على ان ندخل في الاداب الغربية هذه النزعة « الانسانية » الجديدة ، موسعين المجال لهم الانسان ومشاغله الاساسية وفي رأسها مهنته وعائلته . على ان الحركة الشعبية التي انتجت بعض الثمار اليانعة انما تسير في الطريق السوي التي اختطها المذهب الواقعي في فرنسا ، لقد كان موليار ولافونتين من خيرة المنشئين الواقعيين في وصفهم البورجوازية . وبلزاك ، ففلوبير ، ثم موبسان مشوا في هذه السبيل نفسها . بقي ان ندخل في الادب الان ، عامة الشعب : رغباتهم وكراهياتهم ، مسراتهم الساذجة او المركبة ، همومهم اليومية وآمالهم الجسام

هكذا سيكون ادب الغد : نزعة انسانية جديدة تبعث القيم الروحية والخلقية القديمة في صيغ جديدة . عصر ذهبي يقوم فيه العمل الراضي المرضي مقام الهوس والسهولة اللذين يشيعان في ادوار الانحطاط . اقل بهجة واناقة شكلية وبهلوانية الفاظ وزخرفة انشاء . لكن اقرب الى التعمق والجد وحسن البصيرة

نحن في مطلع عصر تعادل وانسجام يكون فيه لكل شعب ابتعثته التجارب القاسية التي يجتازها اليوم ، شأن يقوم به وفق تقاليده لخير النوع الانساني .

جان غوليه

محادثة

بودلير

◆

انت سماء خريف رائعة ، صافية ، زهراء
غير أن الكآبة تصعد في نفسي كالبحر
وتترك ، عند الجزر ، على شفتي المعجرتين
ذكرى مؤلمة من مائها الاجاج

— عبثاً تدب يدك الى صدري الواهي
فان ما تطلب يدك ايتها الصديقة ان هو الا طلل
مزقته مخالب المرأة واسنانها الضارية
لا تفتشي عن قلبي فقد افترسته السباع

قلبي قصر عاث فيه الغوغاء
فهم يعربدون فيه ويقتتلون ويأخذ بعضهم بشعور البعض
— يحوم طيب حول نهديك العاريين

ايها الجمال . يا آفة النفوس . ماذا تبتغين ؟!
أن تحرقي بنار عينيك المنيرتين كالاعياد
ما ابقته الوحوش من فلذات في صدري !؟
فافعلي

ي . غ

Causerie — Poème de Baudelaire.

اشهر المسرحيات

تريستان وايزوت «١»

هي اجمل قصة حب عرفتها العصور ، ويرجع عهدها الى القرون الوسطى . ويقول مؤرخو الادب ان في فرنسا خمس قصائد طويلة عن تريستان وايزوت أقدمها قصيدة نظمها احد الشعراء الطوافين في العام ١١٤٠ واذاعها في قصور الامراء الانكليز . ومن ذلك العهد الى اليوم ما فتئ الادباء والشعراء سواء في فرنسا وانكلترا والمانيا ونروج وايطاليا يستخرجون من هذه الاسطورة قصصاً وقصائد ومآسي وغنائيات اذا اختلفت في الشكل لا تختلف في الجوهر . وقد تكون القصة التي سواها جوزيف بيديه ، من اعضاء الاكاديمية الفرنسية لثلاث واربعين سنة خلت احكم هذه الاثار الادبية جميعاً واجملها .

وفي العام ١٩٢٩ استخرج بيديه نفسه بالتعاون مع لوي ارتوس من قصته هذه مسرحية ذات ثلاثة فصول مثلت للمرة الاولى على مسرح ساره برنار في باريس .

اما موضوع هذه القصة فيمكن تلخيصه في ان الفولين ، ملك ليونوى ، يذهب الى الحرب لنجدة جاره الملك مارك ، ملك كورنوايل ، فيكافئه هذا الاخير بتزويجه من شقيقته بلانش فلور . ثم يقتل الملك ريفولين في الحرب وتموت بلانش فلور هي ايضاً فيما هي تضع ولداً سمي تريستان فيحتضن خادم امين للملك المتوفي هذا الولد ويربيه تربية صالحة فيشب على الجرأة والفضيلة . ولا يتم الامر حتى يختطفه تجار من نروج تجنح بهم الباخرة على شواطئ كورنوايل فيساق تريستان

البروفسور جوزيف بيديه ، مؤلف تريستان وايزوت

الى قصر الملك مارك في تنتجيل ، فيؤخذ الملك بظرف الامير الشاب ومواهبه ، ولا يلبث ان يعرف انه ابن شقيقته بلانش فلور فيعطف عليه عطف الاب على ابنه . ويصبح تريستان ابسل فرسان الملك ويقوم بمآثر مجيدة ويفتك بالعملاق مورهولت الذي كان ينشر

«1» Tristan et Iseut : Pièce en trois actes par Joseph Bédier.

الذعر في البلاد .

وبديهي ان تثير هذه المآثر الباهرة الحسد في نفوس الاشراف من رفاق الملك مارك فيتهموا تريستان بانه يسعى للقبض على زمام الملك بعد وفاة خاله . فيدرك تريستان عندئذ ان احسن وسيلة للقضاء على اراجيف هؤلاء الاشراف هي ان يحمل الملك على الزواج .

وفي اليوم نفسه يدخل طائران من السنونو الى غرفة الملك وهما يقتتلان ، ولا يلبثان ان يفرا مذعورين تاركين خصلة ذهبية من شعر امرأة تسقط من منقرهما . فيتناول الملك هذه الخصلة ويدخل اليه الاشراف وتريستان ويقول لهم : « ما دمتم ترغبون في ان اتزوج فقد صح عزمي على اختيار المرأة التي انفصلت من شعرها هذه الخصلة الذهبية ولن اتخذ سواها زوجة لي » .

فيقول الاشراف : « ومن اين جاءتك هذه الخصلة الذهبية ايها الملك الجميل من جاءك بها ومن اي بلد ؟ » .

فيجيب الملك : « لقد جاءتني من الحسناء ذات الشعر الذهبي ومن البلد الذي يعرفه السنونو » .



ايزوت ذات الشعر الاشقر

فيقطع تريستان عهداً على نفسه ان يجيء بالحسناء ذات الشعر الذهبي ، وبعد جهد يصل الى ارلندا ويختطف من قصر ملكها ايزوت الشقراء ابنة الملك ، وخادمتها برانجين . وتكون هذه الاخيرة قد حملت معها شراباً سريا تضرم به الحب في عروق الملك مارك ، فيكتشف تريستان وايزوت هذا الشراب الثمين ويرتويان منه وهما عائدان الى تنتجيل فتدب فيها حرارة لاعهد بمثلها لحي على الارض واذا هما حبيبان لن يستطيع فصلهما الحياة ولا الموت .

وما ان تزف ايزوت الى الملك مارك حتى تدب الغيرة في نفس هذا الاخير ، واذ تتضح له الخيانة يثور غضبه فيهرب الحبيبان الى غابة موروى .

تريستان — أجل ، انت لي وسأحتفظ بك . فلي حق عليك . لي حق عليك فقد طاردونا في غابة موروى هذه .

ايزوت — اني لاابارك قساوتهم وظلمهم . فحين سجنونا في هذه الغابة أطلقوا سراح قلبينا .

تريستان — بما انهم يطاردوننا كأننا من وحوش الغاب فليحب كل منا الاخر كما تحب وحوش الغاب العريئة بعضها بعضاً .

ايزوت — ان حبنا الذي يطاردونه يستنشق من الاعشاب العرية اريجاً عطرياً .

تريستان — ألا فلنحب حبنا .

ايزوت — لنحب حبنا ، فاي عاشق وهب حبيبته مثل هذه الهبة ؟ لقد أعطيتني هذه الغابة ، وهذا الينبوع ، وهذا الوادي ، واعطيتني الازهار التي لن تقطفها يد .

تريستان — واعطيتني جسدك المغطى بالخرق ، وهاتين اليدين المزرقتين ، وهاتين القدمين الداميتين ، وهذه الجفون المتهدلة ، وصفرة هاتين الشفتين ...

ايزوت — اعطيتني اشجاراً مثقلة بالثمار ، بالطيور وبالعناقيد وارضاً معطرة عليها كوخي المزنر بالحب ، عليها بيتي .

تريستان — وبيتك هذا اقوى من حصن منيع اذ لن يهدمه الا الموت .

ايزوت — هذه الغابة تلفنا .

تريستان — تحبنا وتحرسنا .

ايزوت — والرياح تغني لنا وحدنا .

تريستان — كأن الله خلقنا في حديقة عدن .

ايزوت — لم يبق على الارض سواك يا تريستان ، وسواي .

ولا يلبث الملك ان يعفو عن ايزوت ويسترجعها بعد ان ينفي تريستان .

الفصل الثالث

قاعة في قصر تنتجيل . (ايزوت جالسة وفي يدها عود تعزف عليه وعلى قدميها خادمتها برانجين)

ايزوت — لن يعود . . لقد مرت سنتان طويلتان ! . . لن يعود . .

برانجين — انسيه ! . . . فالملك يكرمك ويحبك .

ايزوت — وماذا يهمني من كرمه وحبه ، ماذا يهمني من عفوه وغفرانه ؟

برانجين — ولكنها ليست بحياة هذه التي تعيشينها في هذه الغرف المقفلة لياليك بدون رقاد ونهاراتك بدون نور كأني بك ميتة مزينة للقبر .

ايزوت — لا تستطيع ان تحيا الا في تريستان ولا تستطيع ان تموت الا فيه .

« ثم تطلق اناملها في العود . »

برانجين — اعزفي يا مولاتي ، اعزفي ، فالحانك عذبة شجية واناملك جميلة ، كأني بسرب من الطيور يحوم على هذه الاوتار .

ايزوت — هي طيور غابة موري ياحبيبتي . فتريستان تعود من صغره تقليد اصوات الطيور ، فكان اذا ناداها في الغابة خفت اليه تغني . . .

ولا يعتم الامر حتى يتصل بايزوت ان تريستان تزوج في الغربة وان اسم زوجته هو ايزوت ذات اليدين البيضاوين . وفي احد الايام فيما الملك مارك يصطاد في البقاع البعيدة يدخل الى القصر رجل متنكر بزي مجنون ويدعي انه يحسن قراءة البخت . واذ يلج في الدخول على الملكة تلاحظ برانجين ان في الامر سراً وتخبر مولاتها فتقول لها ايزوت ادخليه .

ولا يكاد المجنون يمثل بين يدي الملكة حتى تبادره بقولها :

— ألا تدري ايها المجنون ان الموت يهددك في هذا المكان ؟

فيجيبها : ألا حبذا الموت !

فتقول له : هذا الصوت ! هذه الكلمات كم سمعتها منك ياتريستان ؟ .

والواقع ان تريستان حين يبلغه ما تقاسيه ايزوت من اجله يصح عزمه على اقتراف فرية تغرس في قلبها الكره والبغضاء فتنساه وتستريح مما بها ، ولا تلبث ان تحيا مغبوطة سعيدة . ولا يجد لذلك افضل من ان يتزوج . على ان حبه لايزوت كان يزداد اضطراماً ولهيباً حتى اورثه داء لانجاة منه ويشعر بحاجة ملحة الى ان يتزود نظرة منها قبل ان يموت فيتكلف الجنون متنكراً بزي عراف



مشهد الشراب السحري من مسرحية تريستان وايزوت

تريستان — انت تريستان . لم ابق تريستان كما كنت بل انا الرجل الذي خانك .

ايزوت — لا ، فتريستان لا يستطيع ان يخون ايزوت .

تريستان — انا الرجل الذي تزوج ابنة الدوق هويل .

ايزوت — لا بأس ، ولكن قلبك لم يستطع ان يخونني ولا جسدك ايضاً ، فقد شربنا ذلك الشراب . . . وسنشرب معاً البأساء او الغبطة .

ايزوت — لا قيمة للكلام الذي يخرج من فمك ، فقد عرفت صوت قلبك واية قيمة لما بقي ؟!

تريستان – ايزوت ، سأموت قريباً بعيداً عنك ·

ايزوت – خذني اليك ياتريستان ، وضني الى صدرك ضمة ينسحق لها قلبانا وتمتزج روحانا ·

خذني اليك ، ولنبعد عن رائحة الدم ودنيا الاراجيف خذني الى الوطن السعيد الذي لا يعود منه احد ·

تريستان – الساعة تقترب يا ايزوت ·فاذا ناديتك فهل تأتين ؟

كنت تحبني · اما الان فسأموت لانك لم تبق في قيد الحياة ·

ثم تقبل عينيه وتتمدد الى جنبه وتطلق آخر انفاسها ·

واذ يتصل هذا النبأ بالملك مارك يأمر باحضار الجثتين الى تنتجيل وبان يبنى لكل منهما قبر بعيد عن الآخر · ولكن في الليل ينبت غصن مزهر على قبر تريستان ويمتد في الجو



تريستان وايزوت في غابة موروى

ايزوت – نادني يا تريستان فاجيء · · · اسرع اليك ·

ويعود تريستان الى منفاه ولا يلبث ان تشتد عليه الحمى ويموت · وفي الليلة التي فاضت فيها روح تريستان تسمع ايزوت صوتاً يناديها فتهرب من القصر وتصل اليه في الصباح ·

ايزوت – « تدنو من سرير حبيبها وتكشف عن وجهه » لقد ناديتني ياتريستان فها انذا ، لم اعش حتى اليوم الا لانك

فيدور دورة الكنيسة وينشب في قبر ايزوت · فيقص سكان المحلة الغصن ثلاث مرات وثلاث مرات يعود فينبت ويمتد قوساً مزهراً عطراً من قبر تريستان الى قبر ايزوت ·

واذ يخبر الملك مارك بالامر يصدر امره بان لا يقص الغصن بعد اليوم ·

بيروت والبيروتيون

في عصر ابراهيم باشا المصري

١٨٣٢ - ١٨٤١

بقلم شفيق طباره

●

الفصل السادس

الحفلات الشعبية . حفلة الختم . حفلة الختان . حفلة الصمد . زفة العريس

كان اهل بيروت يحتفلون بختام القرآن الكريم ويوم الختم عند تلاميذ تلك الايام اجمل ايام السنة الدراسية يخرج فيه الاحداث من الكتاب في صفين يرتلون الاناشيد يتقدمهم رجلان يلعبان بالسيف والترس او كما يسمى (لعب الحكم) او (المشاقبة) ويأتي بعدهم رجل يحمل فوق رأسه كرسياً ذات فتحتين عليه القرآن الكريم مغطى بفوطة حرير مزركش ومن ورائه المحتفى به ورفاقه مرتدون الملابس الجديدة المحلاة بقطع من فضة ويمشي المعلم بين الطلاب متقلداً حول عنقه سبحة طويلة وفي يده عصا غليظة يضرب بها الارض وينشد باعلى صوته بعض المدائح النبوية ويتلوه جماعة من الاهل والاصدقاء بينما العجائز يزغردن من وراء حجابهن من حين الى آخر . وحينما يصل الموكب الى منزل الطفل يوزع اهل الدار على الاحداث قراطيس (النعومة) او (المعلل) او اقراص (التمرية) او (الخبيصة) او التين اليابس مع الجوز واحياناً بعض قطع من النقود اذا كان اهل الطفل من ذوي اليسار . وجرت العادة في تلك المناسبة ان يهب والد المحتفى به للمعلم كسوة كاملة للدلالة على التقدير والكسوة او (الخلعة) في الغالب قطعة من الموصلين الابيض للعمامة وشقه من الكتان او الخام للجبة او السروال .

وكان ختان الولد في سن الخامسة او السادسة واحياناً قبيل ذلك او بعيده ويحتفل بختان ولدين معاً او اكثر اقتصاداً بالنفقات وتسمى حفلة الختان (الطهور) فيلبس الولد المراد ختانه الثياب الحريرية الفضفاضة المزينة بالقصب ويقلد الحلي والتمائم اتقاء لشر العين ويركب فرساً باجمل سرج ويمشي امامه الطبال والزمار ورجل يحمل سيفان برأس كل منها ضمة زهور ويتلو الموكب الاهل والاصدقاء . وعندما يبلغون البيت يقوم الحلاق بعملية الختان بينما جماعة يقرعون الدفوف ذات جلاجل نحاس يضربونها بمنتهى جهدهم ويذكرون الله تعالى باصوات عالية مرددين (الله هو الله هو) اخفاء لصراخ الولد المتوجع .

ويحتفلون بنقل جهاز العروس الى بيت العريس في يوم مخصوص والجهاز اواني بيتية وثياب يتفاخر بها اهل العروس ولذا كان يسير موكب (الصمد) في صف طويل يحمل المشتركون فيه قطع الجهاز على رؤوسهم او بايديهم كل واحد منهم ممسك قطعة فهذا يحمل مرآة وذاك فراشاً وآخر مخدة وغيره طستاً وابريقاً او صندوق وبقجة مزركشة وبعض اوان مطبخية واشغال يدوية في اطباق وصواني واوعية مكشوفة ليراها الناس .

وعندما تضع المرأة غلاماً يأتي اطفال الكتاب ويقفون بباب دار المولود ويهتفون :

ام المولود حلينا	لولا الصبي ما جينا

وبعد ان يدخلوا البيت وتفرق عليهم اطباق النقل ينشدون :

يارب يامنشيء العظام	احفظ لنا هذا الغلام
وانشؤه نشاء صالحاً	ابن الاصايل والكرام

واذا كانت ليلة العرس يذهب العريس في موكب الى دار العروس واصدقاؤه يحملون المشاعل والشموع فيصب اهل البيوت ماء الورد او ماء الزهر على المارين صباً من مزاهر فضية خاصة وحينما يخرج العريس من منزله ويطل عليهم يصيح احدهم (ضوا ياشماعة) وفي الطريق يقفون فينادي بعضهم :

يا اهـل الحمية   وعزائم الله القويـة
يا سامعين الصوت   لايقطع لكم ذريـة
بجاه طه خير البريه   لايقطع لكم ذريـه
بجاه طه خير البرية   وان كان هالراية البيضاء الجلية
راية (فلان) العريس   بيض الله وجهـه
فيصيح الجميع صيحة واحدة : بيض الله وجهه ...

الفصل السابع

عدد السكان والطوائف . المساجد . الزوايا . الكنائس

لم يكن لبيروت يومئذ احصاء رسمي لأعلم بالضبط عـدد المسلمين والنصارى وغيرهم من ابناء الطوائف الاخرى من اجل هذا فانني أكتفي في تقدير السكان حسبما وردت في الاحصـاءات الصادرة عن قنصل الدولة الفرنسية آنئذ ويتضح منهـا ان عدد سكان بيروت كان يربو على خمسة عشر الفاً وخمسمئة نفس موزعين كما يأتي :

سبعة الاف مسلم .
اربعة الاف روم ارثوذكس .
الف وخمسمئة ماروني .
الف ومئتا كاثوليكي .
ثمانمئة درزي .
اربعمئة ارمني سرياني .
مئتا يهودي .
اربعمائة اجنبي من بلاد اوربية مختلفة .

وهذا العدد زاد فيما بعد وظل في زيادة مضطردة لاضطراب الاحوال السياسية في الجبل ونزول الجبليين الى المدينة حتى بلغ عدد سكان بيروت الان مائـة وستون الف نفس . وكانت شمائل اكثرية السكان وعاداتهم مزيجاً من تلك الشمائل والعادات التي كانت تسود الجزيرة العربية وسوريا وشمال افريقيا .

وكان يومئذ للمسلمين خمسة مساجد : الجامع العمري الكبير . وجامع السراي . وجامع النوفرة وجامع شمس الدين . والجامع المعلق (وسمي بذلك لانه كان يصعد له على درج خلافـاً لسائر مساجد المدينة) وكان قائماً في سوق الخضره . وفضلاً عن ذلك فقد كان هناك زاوية المجذوب قائمة بازاء دار الكتب الحـالية عمرها بعض الصالحين من آل المجذوب . وزاويـة الاوزاعي في مدخل سوق الطويلة وقد درس بها الامام الاوزاعي (٧٠٧ م — ٧٧٤) وتهدمت وقام في مكانها اليوم مخزن خصص ريعه للوقف الاسلامي ثم زاوية المغاربة عمرها احد الاتقياء المغاربة وزاوية بني الحمراء لامراء بني الحمراء ومنهم المؤرخ صالح بن يحيي صاحب كتاب (تاريخ بيروت) وكانت قرب جامع السراي . وزاوية ابي النصر عمرها العالم الشيخ محمد ابو النصر اليـافي جد عائلة ابي النصر المعروفة وحفيد المرشد الاكبر ابو الوفاء الشيخ عمر ابي النصر اليـافي . وزاوية القصار في آخر سوق البزركان وهذه الزوايا مع جامع شمس الدين والجامع المعلق توارت بطوارىء الازمان ما عدا زاوية ابي النصر فهي ما زالت الى يومنا وراء مقهى القزاز قرب ساحة الشهداء .

وكان نظام الزوايا معروفاً في البلاد الاسلامية ومن مقتضاها ان يقوم الذي يعمر الزاوية من عباد الله الصالحين بما تحتاج اليه من نفقات يومية من طعام يقدم للفقراء ولبعض مريدي طريقته وشيخ الزاوية يصلي بالناس الاوقات الخمس ويعظهم كل جمعة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وكثيراً ما يقيم الورد ويعيد الذكر في حلقات ليلية يسمونها (حلقات الذكر) .

وكانت مساجد بيروت والزوايا كلها متشابهة في قيامهـا على عقود كبيرة وقباب وفيها يجلل ابوابها من الستائر وكان للمسيحيين ثلاث كنائس وهي : كنيسة مار جريس للروم الارثوذكس وكنيسة مار الياس للروم الكاثوليك وكنيسة مار جريس القديمة للموارنة وقائمة على يمين درج الاربعين شهيداً وردمت فيما بعد وقام اقامها الى ناحية اليمين كنيسة مار جريس الجديدة التي شادهـا المطران يوسف الدبس . وكان هناك كنيسة (الارض المقدسة) (Terra Santa) للرهبان الفرنسيسيين وكنيسة الروم الارثوذكس معظمة عند الروم يقصدون لها من بلاد كثيرة وحسبت من ابدع كنائس المملكة العثمانية .

شفيق طباره

قبلة !

◆

يا نعمةً زوّدتها زاداً على السفر الطويل
شفعت بما صنع الرحيل ، فكدت اغفر للرحيل
ومشيت في قيظ ، وفي مساء ، وفي شجر ظليل
القى تنفّس جمرة بتنفس الورد البليل
هي قبلة ، برد الغليل وان تكن حر الغليل
قالت فما تركت سبيلاً ان أقول ، وان تقولي

*

يا ثغرها بعد التمنّع ، حبذا كرم البخيل !
قد كنت اسمع بالرجاء الحي واليأس القتيل
حتى خلست الطيبات جمعن في الثغر الجميل
هي قبلة قلّت ، ولكن ما قليلك بالقليل
المستحيل اذا هفت شفتاك غير المستحيل !

رئيف خوري

المسرحية بين العامية والفصحى

بقلم رشاد المغربي دارغوث

◆

من حق الاديب على الناس ان يطالعوا مايتحفهم به من عصارة قلبه وذوب نفسه فيقول الذين يستطيعون منهم القول رأيهم في ذاك النتاج . كما ان من حق الادب ان يخلص هؤلاء له فلا يراؤون في القول او يبخسونه اشياءه وخصائصه .

وان كنا نأسف لامر فلأن الذين ينصبون انفسهم للنقدعندنا واحد من اثنين ، كلاهما مغرض : صديق يدعو او يبث دعاوة فيها عاطفة مشبوبة وايمان مصطنع ، وحاسد يصد او يعمل للحيلولة بين الناس ورؤية الحق ، يسيره حقد ارقط يتلبس الاخلاص للفن او الغيرة عليه .

ويقيني اننا لن نخرج بالادب من بين هذين ، وبالتالي لن يتبوأ الاديب فينا المنزلة التي ترجع اليه في مجتمع سليم الا يوم يقضى على هذه السطحية التي غمرت الناس وجرفت في تيارها الارعن كل شيء ، وصارت او تكاد طبيعة يستعصي على الفرد خروجه منها او تمرده عليها .

بين يدي اربعة كتب : ثلاث مسرحيات ونخبة من القصص ألفها اديب سبق ان قلت فيه ان ادبه سيؤرخ عصره ، عنيت الاستاذ محمود تيمور صاحب مكتوب على الجبين وقلب غانية ونداء المجهول .. وسواها من القصص الكثيرة .

اما المسرحيات فهي عروس النيل والمخبأ رقم ١٣ وعوالي . واما الكتاب الرابع فمجموعة من الحكايات والقصص خص بها المؤلف النشء والاسرة : فهي من هذه الناحية كتاب مدرسي وادبي معاً يطالعه الطالب في المدرسة وفي البيت ويقرأه من يشاء حيث يشاء .

هذه الكتب الاربعة وصلت الى علمي مرتين : احداهما عن طريق الصحف وما كتب فيها النقاد ، والثانية بعدان طالعتها وقدهبطت

عليّ تقدمة من مؤلفها الكريم ·

وهذه احدى سقطات الادباء والمتأدبين او احدى مظاهر الحياة الادبية في الشرق · فنحن لا ننفق على هذه الاقوات بالقدر الذي تستلزمه حاجتنا او لا نستطيع ان ننفق · واذن فمن واجب المؤلف ان يهدي نصف ما يطبعه ، لوجه الله ووجه الادب · ولا ضير من بعد اذا خرج من حساب كتابه المنشور صفر اليدين · فاجره على الله وعلى التاريخ ··

ولعلي قد لمست جرحاً يكاد يبرأ في بيئة كمصر او هو تحت عصائبه وضماداته في طريق البرء ، تعنى به ايد مبسوطة ويسهر عليه خلق كثير · الا اننا هنا في هذه الناحية من الشرق العربي ما برحت جروحنا تمجّ صديداً ونجيعاً ···

وليكن ما كان او سيكون فقصة الاديب العربي — والاديب الناشىء اعني — قصة فاجعة سواء أكان في بيروت أم في القاهرة وبغداد · واغرب ما فيها هذا الحقد الذي يبيته المترعون والمستقطبون وهم ينادون بوجوب التعاون بين الاجيال المتعاقبة وضرورة التضامن ·

ولا ادري لِمَ اذكر دوماً كلما استعرضت حياة الاديب المسكين في هذا الشرق الافيح الغني ما يروى في معرض التشنيع على المتنبي من قصته مع بائع البطيخ والرجل المثري ، وما كان من قسم الشاعر الناشىء ليجمعنّ مئة الف الف درهم ··· الا انني ادري شيئاً واحداً هو ان على الاديب او من يود الاضطلاع برسالة الادب ان يكون ذا مئة الف الف ··· والا فخير له وللادب ان يكون (سمساراً) او ·· ماسح احذية (ككشقوش) في المخبأ رقم ١٣ ·

وما دمنا قد عدنا الى المخبأ فاود ان اعلن ما استشعره من غبطة اذ ارى دور الطباعة تنشر على الناس في الظروف العصيبة الراهنة مثل هذا الكتاب وامثاله كانما برج تيمور العاجي فوق متناول الطائرات ومدى دوي القنابل ·

واننا نحمد الله على ذلك فهذه الحرب التي تحصد نيرانها في اليوم الواحد الالوف من الابرياء قد طعنت الفكر البشري طعنة في الصميم فحرمته غذاء لا يقل شأناً عن القوت للابدان وشلت بالتالي قوته المنتجة لا سيما في الشرق الحائر بين امسه البعيد وغده الغامض ·

ثم تهنئة اخرى الى الاديب القاص الاستاذ تيمور متصلة بالغبطة والاعجاب والتقدير · فنحن احوج ما نكون في ادبنا الى هذا اللون الذي ما برح المؤلف يطلع علينا به ، لون أقل ما يقال فيه انه ادب توجيهي يستهدف غرضاً معيناً ويسير على بسط سحرية من الفن الى غاياته فهو من الحياة والى الحياة لا ادبا متكلفاً ونتاجاً مصطنعاً كهذا الذي يتخموننا به باسم « الفن للفن » ·

ان قراء العربية والمجتمع العربي في شتى اقطاره قوم يستيقظون ومجتمع يبني حياته · فليس من السائغ في اذواقهم هذا الترف المبتسر ولا من المرغوب فيه هذه الكماليات العقلية ·

وغير هذا فكيف تريد واحداً من الناس على تمثل ما لا تقبله امعاؤه ولا يستقر فيها اذا اشربه قسراً ·· فكيف تريده على القفز الى قمة هرم قبل ان يستكمل عدته للمشي العادي ·

ان الفن للفن وسائر ما تمخضت عنه النزعات الادبية الحديثة في الغرب اغراض زائلة ما تدب على رجليها حتى تنطرح ارضاً · ويرجع الناس بعدها الى الطبيعة يستوحونها والى الفطرة يستلهمونها والى الحاجة يستولدونها · وهذه الرمزية التي انتشر فينا وباؤها في السنوات الاخيرة قد اختنقت في مهدها هناك قبل ان تستقر في احضان الشرق وتعمر كخرافاته او تحتضنها تقاليده الابدية ·

ليس من غرضي هذا كله · وانما هي خواطر ما برحت تعروني منذ امد بعيد فاعلنها حيناً واكتمها احياناً · غير ان كتب الاستاذ تيمور المسرحية قد اقنعتني مرة اخرى بصحة عقائدي هذه · فرأيتني اكتب ما نقرأ مسيراً هذه المرة بقوة لا ادري أهي باعث الايمان ام سحر البيان ·

انني وان كنت عدواً للهجات العامية منذ نشأت بفطرتي وأثر بيئتي وبعامل آخر لا يقل خطراً في تأثيره عما ذكرت — انني وان كنت أمقت اللهجات العامية لاجد في اللهجة المحكية في مصر عذوبة تلطف من ذلك البغض · في اللهجة المصرية موسيقى ناعمة وجرس رائق ومرونة بديعة فضلاً عن ان فسادها — بالاضافة الى اللغة الصحيحة لم يتعد حدود التحريف والتصحيف والقلب وما اليها ···

اقول انني على الرغم من ذلك كله قد شعرت وانا اقرأ مسرحيتي الاستاذ تيمور المخبأ رقم ١٣ وعروس النيل انني اقرأ نتاجاً عربيّاً لا تشوبه شائبة · في حين انني ممن لم يتح لهم حتى الآن صحبة مصري صميم بله الاقامة في مصر او السياحة فيها ·

لا شك في ان لغة الاستاذ تيمور المحكية كمصري يعيش في هذا القطر تسمو عن مستوى لهجة العامة · ولا شك في ان الاديب تيمور

غير عاجز عن كتابة مسرحية بلغة الادب – وقد فعل في عوالي وسواها – ولكنه شاء ان يكتب للناس بلهجتهم الدارجة ليكون الاثر المرجو فيهم ابلغ وأصدق . ونحن في بلاد لم يتح بعد للاديب فيها ان يهبط من سمائه الى ارض الناس كما لم يتح لهؤلاء الناس ان يتساموا الى سماء الاديب أو يشرفوا على آفاقه .

ان في هذا الغرض وحده مبرراً لعدول اديب كالاستاذ تيمور عن لغة الكتابة الى لغة الحديث . ولكن ألم يكن بالامكان ايضاً ان يقف الكاتب موقفاً وسطاً ... يشد بالناس اليه باحدى يديه ويضغط بالثانية على قلمه فتخرج المسرحية صحيحة الكلمات متناً وصورة ويقرأها من يشاء كيف يشاء باللهجة التي تعودها او يستأنس بها ، فلا تأتي المسرحية ذات طابع عامي خاص الا حيث يجب ذلك والبديهي المقرر ان يقرأ المسرحيات مكتوبة من كان على قسط من الثقافة وشيء من الذوق لا رجل الشارع ؟

وفي الشرق اليوم طبقات لا تختلف لغتها المحكية عن لغة الكتابة في شيء يذكر . ويقيني ان المؤلف المسرحي انما يكتب لتقرأه هذه الطبقات . فليس عليه اذن ان يتجشم تعريب ما تلهج به العامة – والعامة اذا حضرت تمثيل رواية او شريط لا تقرأ تلك الرواية ولا يهمها ان تطلع على قصة ذلك الشريط المكتوبة . كما لا يؤذي الطبقات التي تتسامى لغتها المحكية باستمرار ان تستمع الى ممثل يمزج عامي التعابير بصحيح الكلام ليصبغ حديثه باللون المحلي ويكسبه مرونة وحياة لم تتوافرا للغة المكتوبة اذا ما نطقنا بها حتى الآن .

وعلى هذا فليس من بأس في كتابة المسرحية باللغة العربية الصحيحة – وبودي ان احذف هذه الصفة الاخيرة فهناك لغة واحدة ليست اللهجات العامية الا صوراً منها مشوهة – وتمثيلها بلهجة الناس المحكية كلما تنافرت اللغة المكتوبة مع الاصطلاح المحلي .

ولقد قرأنا كتباً كثيرة من مسرحيات وروايات الفها الغربيون وصوروا بها حياة نفر من الناس في بقعة معينة من الارض ، يتكلم اهلها لغة البلاد مشوهة . فوجدنا لغة اولئك المؤلفين صحيحة الا حيث يريدون ان يبرزوا لهجة القوم المحكية الخاصه وفي مناسبات معدودة فيحذف الكاتب الفرنسي مثلا من متن الكلمة ما يدغم به المتكلم (الهروتوني) بالفرنسية او (المارسيلي) بلهجة باريس او يضيف بالحروف المائلة تعبيراً محلياً صرفاً لا يشوه الكل الصحيح وانما يكسبه روعة خاصة تزيد شعورك بصدق التصوير وينقلك الى الجو الذي يحاول المؤلف خلقه .

وعندئذ لا يبقى من حاجة الى اخراج الكتاب مرتين وطباعته بلهجتين كما لا يبقى باب الاجتهاد مفتوحا ... فيقول ناقد كالدكتور بشر فارس ان (صوت فاري) خطأ وان (صوت فيراني) اقرب الى الدارج وأصح في النسبة الى الفـأر عند السوقة . فيرد عليه من يرد النسبة في التعبير المذكور في الصفحة ٨ من المخبأ رقم ١٣ السطر ١٥ الى (الفقر) باللهجة المصرية لا الى الفقر باللهجة الصحيحة .

وتحتدم المعركة حول الفقر والفار ... كانما اهوال الحرب وويلاتها بعض نتائجها ..

ويخيل الي ان في سرد القصة التالية خير ما اختتم به كلمتي هذه ..

فقد زعموا ان (فلانا) المتقعر قد طلب وهو في مجلسه المعتاد من (متوله) شربة من الماء بقوله .. « يا غلام ائتني بكأس من ماق او كما تقول العامة ماء ... »

وكان في الحضور سفسطائي مرح كبهجت الناعم عند تيمور في المخبأ رقم ١٣ فانبرى للقول على البداهة :

– « اخطق مولانا قيده الله واصابت العامة ... »

ونحن سواء أكان القصد من جملة قشقوش .. « توت توت » اعوذ بالله من صوتها الفاري يا سعادة البيه (ويعني صفارة الانذار) – سواء أكان المقصود النسبة الى الفقر ام الى الفار في قلب المؤلف فاننا لنرجو ان يكون قد اخطأ واصاب الدكتور بشر . فالنسبة هنا الى الفار اصح في الدلالة على صفة الصوت الكريه الذي نسمعه كلما زعقت هـذه الصفارة الملعونة من النسبة الى الفقر الذي ليس ما يرشح له في الحديث اصلا .

كما نرجو ان يتابع الاستاذ تيمور اتحاف المكتبة العربية بهذه الدرر الغوالي – على الرغم من كل شيء – وهذه المحاولات الموفقة في المسرحية الحديثة شرط الا يتجشم كتابتها مرتين وبلهجتين . فان ما بين الفصحى والعـامية المصرية اضيق من ان يتسع لهذا الجهد او يبيح هذا التكلف .

رشاد المغربي دارغوث

هل اعرف يوماً ؟

هل أعرف يوماً(1) لماذا ، في ساعة الصلاة الخامسة حين يغلق النهار التعب جفنه بهدوء، سكبتُ عطر زجاجة قديمة سائبة على هذا المنديل الخفيف الباقي لي منك ؟

ففيما انا أطبق يدي على النسيجة الفاترة نشقت طويلا عطر الماضي .

فيا ايها الكتان الخفيف انما تعيده هذا المساء الى الذاكرة لهو شارع طويل مقفر كانت الاشعة الشاحبة المنبعثة من مصباح ضعيف تموت فيه على أظافيرها فيما انا احدثها عن نرجس السماء الذي يحصده الهلال كما يحصد سيف اهدابها زهرة قلبي .. وكان ظفرها الوردي الصغير يلمع ، هذا الظفر الصغير من تلك الاصبع الصغيرة التي أعبدها .

ان هذا العطر القديم يحملني على التفكير في تلك الغرفة ، في ذلك الحب القديم الذي تمر ذكرياته المتسلسلة بهدوء في نفسي كرف من الحمام ابيض .

فأرى حبيبتي الصغيرة مضجعة بين ذراعيّ كولد مريض ... ويخيل اليّ اني اسمع صوتها الحريري يتذمر من يدي ... ويخيل اليّ اني أشعر بلهاثها على جفني المغلق .

واحس عنقها الصغير يرتعش في يدي كعصفور خائف ، كطائر ازغب رخص تحت مطرة في الصيف .

سأكتب يوماً قصيدة كبرى اخلد فيها من هذه الحبيبة النائية ابتسامتها المعبودة وصوتها المغوي .

وبأمانة اصف جمالها الذي يزدري بجمال الازهار ... وانشد شعرها ، هذا الليل الطويل الذي كثيراً ماسهرت فيه عيناي ... انشد شعرها، وانشد عينيها، عينيها الساخرتين ، انشد سواداً من سعادتي ... وانشد بشرتها ...

انشد بشرتها الشفافة اعذب من شرفات الورد ، وفمها ، قوس الياقوت هذا المترّل باللؤلؤ الذي طالما فتك بقلوب ... سأنشد بشرتها .

وانشد عنقها العذب كظل فراشة على الماء ، ويديها في شحوبهما روح سورة من الكتاب .

وأنشد صدرها الذي ينيره ثديان يسجنان جي تحت خيتها ...

وانشد قامتها الهيفاء كغصن مزهر ، وفخذيها اجمل زنبقتين خلقتا ...

ثم انشد ايضاً قدميها الصغيرتين . ولو ان حبيبتي كان لها قلب لكنت بدون ريب انشدته هو كذلك ببضعة ابيات موزونة .

سأكتب يوماً قصيدة كبرى يوحيها اليّ اليوم هذا المنديل من الكتان ، اذ اريد ان يتألم الناس كما اتألم كلما فكرت في التي احببتها ذلك الحب وخطفها القدر الصارم مني الى الابد ..

اين تراها تكون تلك الحبيبة العذبة الصغيرة وماذا تراها تفعل الان ؟

ايتفق لها ان تفكر بي ؟

انها ولا شك تحب شجرات لا اعرفها و ترتدي حللا اجهلها . وهكذا صرت ذلك الغريب الذي اصبح لا يعرف ماذا يحل بها ولا يجرؤ ان يسأل عنها انها ولا شك نسيتني كل النسيان ، ونسيت كذلك زجاجتنا الاخيرة التي وضعنا فيها قبلتين واحكمنا سدها قبل ان نلقيها في النيل خشية ان تطيرا الى السماء مع ارواح الاطفال . مسكينة هي هذه الزجاجة الصغيرة .! فكثيراً ما اتساءل عماذا حل بها ؟... هل حطمت من ذلك الحين كما حطم قلبي ، ام تراها ما تزال عائمة في المساء تحت اغنية النجوم الزرقاء ؟

كثيراً ما افكر في زجاجتنا الصغيرة . وفي الزوارق الزرقاء كثيراً ما افكر ...

كثيراً ما افكر في الزوارق الصغيرة وفي انعكاسها الوردي على الماء ...

وكثيراً ما افكر في علي الملاح ...

كثيراً ما افكر فيك يا علي .

كثيراً ما افكر في اخيك عبد الرحمن ...

ايها الرجلان العطوفان ! ... ايها الثمينان !

احمد راسم — السويس

1) Saurai-je Jamais : poème de Ahmed Rassim

شعراء الحرب عند العرب

بقلم السيدة وداد سكاكيني

سلام على آشيل مرسلاً سهامه يشق بها كبد الفضاء ، فيصبها كالسيل العرم على اعدائه في ساح طروادة ، وتحية الى آغا ممنون وهو متدرع بالتريكة متترس بالمجن يصد ضربات السيوف وطعنات الرماح ، وهدى لعولس ، لهذا الضائع الشريد في عرض اليم ، الهائم على وجهه فوق اثباج البحر .

نظم هوميروس شاعر الاغريق القديم ملحمته الرائعة وسماها الالياذة وقد حشر فيها بدائع الوصف لروائع الحرب ، ومزج كلماتها باللحم والدم ، نقرؤها اليوم فيأخذنا العجب ويهزنا الاعجاب ، اذ نرى فيها حومة للوغى تقوم وحما تضطرم ، ونسمع زمازم العسكر وصليل البيض وخفق البنود ، مواجة بجمجمات الصافنات الجياد ، ولقد يخيل الينا من سحر ما نقرأ اننا نطل من شرفة الملحمة على أبطال الملحمة فنسمع تحاورهم ونشهد غمراتهم ومواكبهم ، هؤلاء الشخوص العجائب من ذرية الآلهة وأرباب الاولمب كما زعمت اساطير الاغريق التي جمع شملها هومير في قصيده الفني الحافل ، ولطالما ساءلت نفسي : ترى كيف كان اليونان الاقدمون الذين عاصروا منشئ الالياذة او الذين جاؤا بعده من المنشدين يرددون تلك الاغاريد التي صاغها شاعرهم الاكبر من جوهر قريحته فبقيت ساطعة في سماء الشعر الى اليوم ، من نورها اقتبس الشعراء ، ومن فيض وحيها نهل الادباء ، واهل الفنون اجمل الصور والتماثيل .

ان في اناشيد الالياذة ميراثاً لليونان لا يبلى ، وثروة لا تفنى ، فيها مجدهم الاثيل وتاريخهم العريق ودنياهم التليدة التي أبدع في آفاقها هومير لاهوتاً عجيباً ، وفناً غريباً ، فلا غرو اذا رأينا الامم تتنافس في شرف الانتماء اليه وتتداول ملحمته الخالدة جيلاً بعد جيل . وكلما تأملت في آدابنا العربية كان في نقدي لبعض نواحيها وألوانها حيف على الاقدمين الذين لم ينقلوا الى لغتنا هذه الملحمة حتى أقدم سليمان البستاني من اعلام لبنان على ترجمتها في مستهل القرن العشرين ، ولست بعذيرة لمن يعزو تفريط الاولين في ترجمة الالياذة الى خشيتهم فساد الطوايا بذكر الالهة المزعومة اوالموهومة لان العرب في عصور العباسيين كانوا في يقظة فكرية لا يأتيها الباطل ولا تشوبها آداب الوثنية العتيقة ، فقد مالوا للفلسفة وللعلوم فترجموا كتب اليونان فيها واهملوا الادب ، فلم نر في تراثهم المنقول عن الامم القديمة مسرحيات سوفوكل ولا ملاحم هومير ولا مآسي فرجيل ، على ان للعرب في جاهليتهم واسلامهم حروبا وغزوات شاب من هولها الولدان ، ولكن شعراءهم سواء خاضوا غمرة الحرب وحملوا او زارها أم تمثلوها بالوهم والخيال فانهم لم يفتنوا بوصفها وتصويرها كما افتن بها القدامى والغربيون ، ولا أزعم أنهم قصروا في هذا المضمار لنضوب في خواطرهم وجمود في مشاعرهم وانما لاختلاف الحياة وتفاوت العقائد والطبائع بينهم وبين غيرهم ، غير ان المطلع على آدابهم المتتبع لتاريخهم يجد اكثر شعراء الجاهلية قد تصدوا لوصف الحرب ونكباتها ونعتها باشتات النعوت كالهيجاء والكريهة وكان زهير ابن ابي سلمى من اشد المحذرين والمصورين لفظائعها وما هي عن قومه بالحديث المرجم ، فقد علموا خطوبها وذاقوا وبالها . ومنهم عمرو بن كلثوم الذي علا بعشيرته علواً كبيراً ، وغلا في تصور عصمتهم وبطولتهم وتصوير نضالهم للاعداء ، وسفك الدماء ، فقال :

وقد علم القبائل من معد	اذا قبب بابطحها بنينا
بانا العاصمون اذا قدرنا	وانا الغارمون اذا عصينا
نطاعن ما تراخى الناس عنا	ونضرب بالسيوف اذا غشينا
نجذ رؤوسهم في غير بر	فما يدرون ماذا يتقونا
بشبان يرون القتل مجدا	وشيب في الحروب مجربينا
الا لا يعلم الاقوام انا	تضعضعنا وانا قد ونينا

ومن الشعراء الذين عرفوا بالشجاعة والفروسية فزهوا ببأسهم

وباهوا بغشيان الوغى وخوض المعارك الحمراء عنترة العبسي القائل :

خلقت للحرب احميها اذا بردت ... واصطلي نارها في شده اللهب
وقد طلبت من العلياء منزلة ... بصارمي لا بأمي ، لا ولا بأبي

وقال :

واذا حملت على الكريهة لم أقل ... بعـد الكريهة ليتني لم أفعل
والخيل تعـلم والفوارس انني ... فرقت جمعهم بضربة فيصل

ولم تخل المعلقات لفحول الشعراء من ذكر الحرب ، كما ان في بعض ابياتها دعوة الى السلم وحقن الدماء ، وهكذا شعراء بني امية الهجاؤون كانوا ينظمون القصائد الطوال منوهين بمغـامرة الفرسان وذيادهم عن القبيلة وصد العدوان فاذا دالت دولة الامويين وازدهر عصر العباسيين الذي تمازجت فيه الثقافة بين الامم العربية والفارسية والرومية ، وطغت حضارة جديدة ، رأينا شعر الحرب عند العرب ما زال جاريا على النمط الذي كان عليه في الايام الخالية وفي هذه الحقبة كان ابو تمام يمثل الوجهة القومية في شعره ، فلما فتح العرب « عمورية » هاجت حميـة الطائي واهتزت شاعريته فقال قصيدته المشهورة :

السيف اصدق انباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

وكأني بالخيال اشهد « عمورية » وقد هم المعتصم بفتحها بعد ان صرخت حبيسة سجنها : وامعتصماه ! فجهز الخليفة جيشه وسار بخيله ورجله نحو بلاد الروم ، ولما رجع مظفراً من هذه الحرب وقف الشاعر ابو تمام يمدح الخليفة ويصف فتحه المبين فقال :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... عنك المنى حفلا معسولة الحلب
لقد تركت امير المؤمنين بها ... للنار يوماذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى ... يقله وسطها صبح من اللهب
لما رأى الحرب رأي العين توفلس ... والحرب مشتقة المعنى من الحرب
ولى وقد ألجم الخطي منطقه ... بسكتة تحتها الاحشاء في صخب

على ان الايام التي تعاقبت بعد ابي تمام لم تخل من اصطدام العرب بالرومان فاخذ الشعراء الذين عاشوا في هذا العهد يصفون المعارك والمعامع وكان ابو فراس وابو الطيب اشعرهم وأشهرهم ، وقد عاش كلاهمـا في عصر واحد وحملا السيف والقلم فجمعا بين قريحة الشـاعر وطموح البطل ، بيد ان ابا فراس فضل ان يكون فارساً مغواراً على ان يكون شاعراً عبقريا فقال :

وصناعتي ضرب السيوف وانني ... متعرض في الشعر بالشعراء

وقال مزهواً بنجابته وبطولته :

تطالبني بيض الصوارم والقنا ... بما وعدت جدّي في المخايل

ولما وقع اسيراً على ابواب « خرشنة » واحيط بالاعداء قال في سجنه :

ان زرت « خرشنة » أسيراً ... فلقد حللت بهـا مغيرا
ولقد رأيت النـار تنتهب ... المنازل والقصورا
ولئن رميت بحادث ... فلالفين له صبورا
من كان مثلي لم يمت ... الا قتيلا او أسيرا

اما ابو الطيب فقد نجد عنده ما لم نجد عند ابي فراس وغيره من شعراء الحرب ، ولعله اكبر شاعر حربي عرفه العرب فقد ساهم في غزوات سيف الدولة وتمرس بالآفات واقتحم العقبـات ، ولا تكاد تخلو قصيدة من ذكر الخيل والسيف والرمح والدروع حتى في مواقف غزله وصبابته فكأنه خلق للفتـك والطعان اذ قال عن نفسه :

فلا تصفن الحرب عندي فانها ... طعامي مذ بعت الصبى وشرابي

ولنستمع له يمدح سيف الدولة ويصور غمرة الحدث وصناديد الجيش منها :

يكلف سيف الدولة الجيش همه ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
هل الحدث الحمراء تعرف لونها ... وتعلم اي السـاقيين الغمائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه ... وفي اذن الجوزاء منه دمـادم
ومن طلب الفتح الجليل فانمـا ... مفاتيحه البيض الخفـاف الصوارم

لو أنسأ الله في اجل المتنبي ومكن له في دنياه لأورث العرب شعراً في المصارع والمعامع يكاد يكون في عداد الملاحم فاذا اغمد ابو الطيب سيفه البتار في «العاقول» تناوله منه بعد الف عام شاعر على ضفاف النيل هو محمود سامي البـارودي الذي روى شعر العرب بقصائد حربية طافحة بالحماسة والبطولة حتى كانت الحرب العالمية الغابرة التي حولت الشعراء عن التغني ببطولة الغزاة والفـاتحين الى التنديد بفظاعة الحرب وويلاتها فكان منهم شوقي ومطران وحافظ وبشاره الخوري والرصافي وغيرهم ، ولكن الحرب الملعونة مابرحت سجالا منذ الازل ، لان طبـائع البشر لم تتغير وسيبقى شعر الحرب من ادب العالم ، ومن يدري فقد تكون هذه الحرب التي تأخـذ بتلابيب الدنيا من ادناها الى اقصاها وحياً جديداً لشعراء العصر من مجددين ومحافظين فربما ظهر بينهم هومير جديد يسجل هذه المجزرة البشرية في منظومة فنية تكون الياذة الدهر الحديث.

وداد سكاكيني — دمشق

سؤال

◆

باكركِ الشجو انثِ مَنْ أنتِ ؟ أأسطورةُ المحالْ
أفكرةٌ من غدٍ براها غداةَ الدجى ابتهالْ
أم ديمةٌ وفرةُ الندى في ظلها أعشبت رمال
يا طيبَ ما بي فحيرتي دفءٌ على النُقّلِ الظلالْ
أبعدُ مرمىً من اليقين وأغنى من الخيال
سرحةُ حلمي افتراض حلمٍ وملعبي خطرةٌ ببالْ
وأنملٌ ذوب نغمةٍ ولهى على معزف الزوال
تسأل ارض عن الشذى ويسكرُ الورد بالسؤال

خاطر ازرق

◆

تقولُ : ترى نلتقي على خاطرٍ ازرقِ
شظاياه غور القرا رَ من النغم المهرقِ
وامنيةٌ بعضها انتظارُ غدٍ مورقِ
قرابين عشنا لها وللعدمِ المغدقِ
ونمضي فيغدو الصدى أراجيحَ حلمٍ شقي
كأن نداء الصباح حرامٌ على المشرق
فيا فكرةً كالسرابُ سألتكِ لا تنتقي

صلاح الاسير

نزعات الفكر العربي

بقلم نسيم بزبك

يرى الناظر ان الامم والشعوب تقف على درجات مختلفة من سلم الرقي والتفكير ، وان نزعاتها تختلف على الجملة باختلاف عوامل الوراثة والتربية والدين ، وتتمثل جلية واضحة في مظاهر كثيرة لعل ادعاها للذكر التعاليم السياسية والعسكرية على تباين اشكالها واهدافها .

هناك شعوب وشعوب تضطرب في تيارات متعارضة بعضها ينزع الى الحكم الفردي المطلق والبعض الآخر الى الحكم الدستوري المقيد ، فريق يختص نفسه بامتيازات الاسياد ويقول بحق التفوق والتسيطر لعنصر دون سواه من العناصر ، وفريق آخر يرى ان القول بمثل هذا الحق وهذه الامتيازات هو نكران صريح للمبادىء الانسانية والروحانية .

ان للفكر العربي مقامه في معترك الافكار العالمية واما نزعاته فقد استقرت في شرائع العرب الروحانية قبل ان تستقر في علومهم ومدنيتهم وصناعاتهم ، ونحن الآن نقرأ هذه النزعات واضحة جلية من خلال الاجيال على الواح مقدسة وفي كتب منزلة وعلى صفحات تاريخ العرب وفي اشعارهم وقصصهم وامثالهم ، ينزعون الى الروحانية والحرية والجمال في صور تغنى بها الشاعر والبدوي سائق الاظعان وانطلق بها قلم الكاتب ولسان الخطيب وانبعثت صلوات وتسابيح من افواه المتصوفة والنساك .

لقد جاء الاسلام بما هو عليه من بساطة واختصار موافقاً كل الموافقة لمزاج العرب الذين ينزعون بالفطرة والطبع الى الاشياء السهلة المأخذ ، القريبة المنال ، الخالية من التعقيد مما لا يستلزم ادراكها كثيراً من العناء والمكابدة .

اما نزعتهم الى التقليد والتشبه فقد اضعفت في نفوسهم بعض الشيء روح الابتكار والابداع في جهات معينة وانعشت فيها من جهات اخرى قوة الحركة وحب الاستطلاع والتجديد .

لقد اطلت الديانات الثلاث على العالم من صحراء سينا وفلسطين ومن صحراء العرب حيث نشأ الفكر العربي وأطل في جلباب من الوحي على الشرق وامتد منه الى الغرب بتعاليم ومبادىء جاءت ركناً في هيكل المدنيـة الحديثة ولذلك يرى العربي في الصحراء رمزاً بارعاً من رموز الوحي المقدس والحرية المقدسة بل مكمن العجائب ومصدر الاستنارة بحيث لا يتمالك من ان يرفع نظره الى السماء مردداً اسم الرحمن الرحيم وقول القائل لا شيء في الصحراء من صنع الانسان بل كل شيء من صنع الله .

لقد حمل الفكر العربي في صدر الاسلام رسالة الوحي والحرية والتمدين، حملها الى مشارق الارض ومغاربها داعياً للاخاء والمساواة والتعارف بين الناس بالحق والواجب ، فظهر الفكر العربي فكراً عالمياً منطبعاً بطابع الاحاطة والشمول في امة تتبين وجهها الصحيح من خلال عقائدها وتقاليدها ، وهي امة يشهد لها التاريخ انها لم تبن آمالها على ويلات الشعوب المستضعفة او المغلوبة ولم تقل يوماً بتأليه الدولة وعبادة الوطن عبادة مطلقة وتنكر قول القائلين ما من شيء فوق الوطن لا العدل ولا الحقيقة . فالفكر العربي ينبو عن تعاليم كهذه تخالف الدعوة الروحانية التي حمل لواءها عالياً مظفراً فكانت دعوته انسانية عالمية تقضي على الرجل المتمدن ان يفكر في مقدمة كل امر انه انسان .

واذا خرجنا بالنزعات العربيـة من حدود الدعوة الى اطوار

الحياة المشتركة والاتجاهات الذهنية نستطيع ان نتبين درجة الابداع والابتكار عند العرب ومستوى التفكير الجامع والنظر الشامل . يبدو على الجملة ان الفكر العربي سريع الاتجاه والتأثر بما يحرك المشاعر ويثير الاعجاب فيرسم صوراً نهاية في الدقة والطلاوة يرددها في اشكال لا تخلو من ايات الانسجام والابداع ولكن الموضع الجميل في الشيء قد يشغله عن النظر في الشيء ذاته من جميع نواحيه فهو ينتقل من غصن الى غصن ومن زهرة الى زهرة ومن رابية الى رابية فيحمل منها الواناً جميلة تؤلف مجموعة ذات لون وجاذب ومعنى انما ينقصها شيء من التسلسل والارتباط وشيء اخر من النظرة العامة او النظر الشامل وقد يرى الناظر في هذه المجموعة مجالي الخيال متمثلة في تعابير واساليب رائعة الكنها لا تخرج عن دائرة محدودة النطاق . مما يحملنا على القول ان التفكير العربي في مختلف نواحي الشعر والعلم والادب يجمع من الطلاوة والدقة والرونق مالا نجد مثيلا له عند كتاب الغرب كما اننا نلحظ في التفكير الغربي من الوان الاحاطة والشمول ما لا نلحظه على النسبة ذاتها في اتجاهات الفكر العربي .

ان حدة الذكاء وسرعة الاقتباس والقدرة على التقليد وما الى هذا كله من عوامل واعتبارات جعلت الفكر العربي كثير الاعتماد بهذه المزايا على الفطرة والطبع وعلى الارتجال كانه وحي يوحى فالاميون يحفظون ما علق بقلوبهم واتصل بعقولهم من غير تكلف، كل شيء للعرب بديهة وارتجال كما يقول الجاحظ .

ان للفكر العربي خيالا مبدعاً لا يخرج عن دائرة معينة بما يرسم من صور واستعارات وتشابيه ولذلك لم يرتق بصورة عامة في مدارج الخيال ولم ينبسط في آفاقه انبساط الفكر اليوناني بالياذة هوميروس الشهيرة وانبساط الفكر الفارسي بشاهنامة الفردوسي

الواقع ان الفكر العربي ينزع نزعة عالمية بل انه يرتدي طابع الاحاطة والشمول في مسائل الدين والايمان اما في مجاري التفكير العامة فالعربي يتأثر تأثراً بالغاً بجمال الجزئيات والحريات فيقف امام الجمال والحرية موقف المستوحي المأخوذ لا سيما وان الحرية في نظره منحة غالية له من منح الطبيعة التي ترعرع في احضانها من غير ان يخضع في ادوار معينة لنظام قاهر او قوة عاتية .

وان منحة الطبيعة هذه اصبحت منحة السماء مع ظهور الاسلام الذي جاء موافقاً كل الموافقة للفكر العربي على قواعد الشورى فكانت الحرية ولا تزال مرمى ابصار الحضري في حاضرته والبدوي في باديته .

وهنا ينفسح مجال القول واسعاً ان الفكر العربي الذي آمن بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قد حمل رسالته الى العالم رسالة حق وعدل واخاء ومساواة كما حمل اعاظم الفلاسفة قديماً وحديثاً رسالة الديموقراطية السمحاء المنطوية على المبادىء ذاتها . وهكذا نرى ان امجاد العرب واولئك الفلاسفة الاعاظم مشتركون في فكرة عالمية واحدة ترمي الى اقامة العدل الاجتماعي وتوثيق بنيان الانسانية على اسس التضامن والمساواة ونرى في شدائد المعترك الحاضر ان الامة العربية تشترك من اجل ذلك مع امم الشورى في حب الحرية بل في ارادة الدفاع عنها ان لم يكن بالسيف فبالقلم واللسان .

غير ان رابطة الحرية التي تشد امة العرب في الشرق الى امم الديمقراطية في الغرب تستدعي بعض ملاحظات من بعض وجوه نتبين مها على الغالب ابرز مايختلج في نفس العربي من ميول واوثق ما يرتبط به الفكر العربي من نزعات .

قد يكون حب الحرية ناشئاً عن احكام الفطرة والطبع او عن احكام الجهد والاكتساب لنأخذ مثلاً اهل اثينا الاقدمين فقد بلغ بهم احترام الحرية مبلغ التقديس فعمدوا الى تاليهها واقاموا لها تمثالا معصوب الرأس بقبعة حمراء ووقفوا على خدمتها الفكر والقلم واللسان حتى كان لها في سقراط اعظم خادم واعظم ضحية على وجه التقريب . ولا مجال للانكار ان العرب احبوا الحرية كأهل اثينا فكان لها اثر بارز في جميع نواحي تفكيرهم ولكنه حب مقصور على كثير من المظاهر والاثار التي تحملنا على القول ان تأثيرات الفطرة والطبع تختلف بعض الشيء عن تأثيرات الجهد والاكتساب اختلاف اليونان عن العرب . ثم انه اذا اجلنا النظر في مصادر الحريات وتطوراتها هنا وهناك في الامة العربية الصابرة وفي الامم الديمقراطية المجاهدة . نجد جملة حقائق وملامح تصح ان تكون دليلا على نزعات الفكر العربي واتجاهاته بمواضع القوة فيه ومواضع الضعف . فالحرية التي نشأت في الغرب ونراها اليوم شعاراً للحلفاء

انما هي نتيجة محتومة من نتـائج الضرورات الاجتماعية واتساع المدارك واشتباك المصالح فكان من نتيجة ذلك ان اصبح للحرية هناك دساتير مكتوبة على اثر ثورات دامية اما الحرية عند العرب فقد تختلف بعض الشيء من حيث نشوءها والعوامل التي احاطت بها فقد سبق القول انها منحة غاليـة في نظر العربي من منح الارض العربية المنعزلة بصحراءها وواحاتها وجبالها وسهولها فالبيئة الطبيعية قد ساهمت في توجيه الفكر العربي الى الحرية وساندتها بيئة اجتماعية في عصر لا سلطان فيه غير سلطان العصبية ولا قيد له غير قيد التقاليد .

وهكذا نرى ان فكرة الحرية ظهرت منذ القدم مرتبطـة بفطرة العربي وطبعه من غير نظـام ولا دستور وظلت على هذه الحال حتى انزلها الله في كتابه المبين آيات بينات فاصبحت الحرية عند العرب حقاً مقدساً من حقوق الانسان مسطراً في دستور سماوي ركنه الايمان والحديث والسنة وسياجه العدل والاخاء والمساواة ثم قامت الى جانب هذا الدستور السماوي في بلاد العرب دساتير على نحو مناهج انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة .

فلا بد من القول مع هذا كله ان نزعـة الفكر العربي الى الحرية الاجتماعية جاءت متـأخرة وظلت مفتقرة الى التوجيه والتنظيم والاستقرار ، لقد آمن العربي اولا بالحرية الشخصية وكان ايمـانه بها قوياً جامحاً جموح العصبية التي جرت على ملك العرب اخطر المشاكل وادت بالفكر العربي الى حالات تعثر وجمود في ادوار معينة . واذا القينا نظرة على صفحات التاريخ نجد ان الفكر العربي سار في بعض المراحل بطيئاً متردداً بين الحريـة الشخصية والحرية الاجتماعية وكان لهذا التردد آثار ونتائج وانـنـا نجد في الاولى وجهاً من وجوه الانانية والفردية وفي الثانية اشكال التضامن والتساند وروح الاجتماع والتعاون والتضحية .

ان الفكر العربي يخفي في جوهره اسباب قوته وارتقائه بما فيه من حيوية كامنة وتقدير للحرية ومن التأثر بالخيال والابداع والميل الى الاصلاح والتجديد ، ويخفي في ذاتيته اسباب ضعفه وانحطاطه بما فيه من نزعات الى الفردية والانانية والتقليد المفرط وما ينشأ عن هذا كله من نتائج لا تتفق مع النظم الاجتماعية العامة بل انها تجعل الارتباط بين العناصر الاجتماعية صعب التحقيق غير قريب المنـال . فترتبك مع ذلك سلطة الحكم والالزام . وتضعف القدرة على القيادة والحماية حماية الروح والفكر والمادة ومن اجل هذه الاسباب نرى ان الفكر العربي لم يعجز عن تشييد ملك واسع كملك الرومان ولكنه عجز عن توطيد سلطان نافذ ثابت مطاع كسلطانهم وانما هذه بعض الاثار والنتائج التي حصلت عن تردد العرب بين الحرية الشخصية والحرية الاجتماعية .

ومما لا ريب فيه ان عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان عهد الحرية الاجتماعية والسلطان الموطد على اسس الشورى بصورة خاصة فاحسن تقييد الحرية بالنظام وصرف العرب عن المشاكل والفتن الداخلية الى الجهاد في سبيل الدعوة .

لقد جعل الاسلام للعرب فكراً وكياناً ودولة وكان الفكر العربي نتيجة الاختلاط الذي حصل بين افكـار مختلفة من روم وفرس وغيرهم فحيوية العنصر العربي التي ظهرت في الاسلام قد اجتذبت عبقريات اجنبية ونفخت فيهـا روحـاً عجيباً ساحراً واخرجتها من زوايا النسيان والخمول الى مراتب الخلود والابداع فظهر من الفرس كتاب في ظل الفكر العربي قل ما ظهر لهم اشباه ونظائر في بلاد فارس نفسها وفي النهاية لابد من القول ان الفكر العربي يحمل على الجملة غبار الاجيال والتقاليد وآثار الاضطهاد على مر الايام ، يحمل صدأ الايام والليالي ولكنه لا يزال صاعداً بجوهره مؤمناً بالحرية والكرامة القومية ايمانه بالسماء. فاذا توافرت للعرب عوامل التوجيه والتحرير لا شك في انهم يضربون المثل الاعلى في التضحية والتضامن ويعيدون سيرة اولى من سير المجد والتقـدم ونحاذر ان يبقى الفكر العربي في حالة تردد تحت مؤثرات الانانية والفردية والعصبيات الخاصة من غير توجيه او تحوير تلك المؤثرات التي ادت الى هدم ملك العرب والتي نجد فيهـا تعليلا لسلسلة الجرائم التي شغلت اكبر جزء من تاريخهم .

نسيم يزبك

قصيدة منسية للشاعر الاعمى

بقلم سامي الكيالي
صاحب مجلة الحديث

● تميزت النهضة الادبية المعاصرة بهذه الدراسات التي حاولها الباحثون عن ادبائنا وشعرائنا منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا هذا واذا لم يخطئني الظن قلت انه ما من شاعر او ناثر او مفكر الا وعرض له الباحثون باكثر من دراسة واحدة ، وبصرف النظر عن قيمة هذه الدراسات التي يتميز بعضها بالقوة ويعتور اكثرها الضعف فليس هذا ما اريد ان اشير اليه بل اريد ان اقول ان تراثنا الفكري القديم قد عُرض مجدداً على القراء في هذه الكتب والرسالات التي توفر الادباء المعاصرون على اخراجها، وساعدت «المطبعة» على نشرها .

ويلاحظ المتعمق بدراسة الادب العربي القديم ان بعض الشعراء قد اهملوا ولم ينالوا هذه العناية التي نالها زملاؤهم .

والشعراء ، كالفنانين ، وككل فرد في هذه الحياة ، منهم المحظوظ ومنهم المجدود ، منهم من يطوى وهو حي ، ومنهم من ينشر وهو ميت فمن اي فئة هذا الشاعر المنسي .

لقد حاولت السياسة ان تطويه وهو حي، وها هي محاولة ادبية لبعث ذكراه وهو ميت .

كان من خصوم السلطان فتعرض لما يتعرض له كل مفكر يبوح برأيه ، ويعلن عن ميوله وهواجسه ، فطمست السياسة ذكره وحاولت ان تطمس ادبه .

وجناية السياسة على الادب مما تعرفه كل العصور وكل الامم ولكن لا تلبث ان تتلاشى تلك البثور ويظل الادب قوي المظهر، قوي الطابع ، لا تؤثر عليه العواصف مهما ثارت ومهما حاولت ان تقلل من روائه وجماله .

ويظهر ان شاعرنا هذا كان من خصوم كل سلطة تميل مع الهوى ، فكان من البديهي ان تناوئه السياسة ، وان لا يجسر احد من ادباء عصره الذين اشتغلوا بالتدوين ان يخصوه بدراسة او ببحث او ان يعرضوا الى ذكره بالتطويل فضاع شعره او ضاع اكثره ولم يبق منه الا النزر اليسير ، على ان ما وصلنا منه يدل على ان الشاعر كان جياش العاطفة ، صادق الاحساس ، قوي التصوير ، وكان الى هذا ناقداً لاذعاً ، كثير التهكم ، كثير الهزء والسخرية لا يداور في معارضة ولا يخشى ان يناله اذى او يمسه اي ضر . اي كان من هؤلاء الشعراء السياسيين الذين يناصبون خصومهم العداء بقوة وايمان دون ان يحسبوا للاضطهاد الذي ينزل بهم اي حساب .

وبعد فقد يقول القارىء من هو هـذا الشاعر المنسي الذي يريد الكاتب ان يكشف اخباره؟ ولا ادعي قدرة الكشف واخباره المبتسرة منشورة هنا وهناك في كتبنا الادبية والتاريخية ولكنني اقول ان الادباء المعاصرين قد اهملوه مع انه يستحق ان يفضل على الكثيرين من الشعراء الذين درس شعرهم ودرست حياتهم ، ونالوا اوفى رعاية من مباحث الكتاب وعنايتهم ، وهذا ما نريد ان نلمح اليه انصافاً لهذا الشاعر المغمور .

● شاعرنا المنسي هذا ، هو الخريمي او الخزيمي ، او الشاعر الاعمى - وفي رواية الاعور - واسمه اسحق يعقوب ، عاش في عصر الرشيد واتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وشهد هـذا الصراع العنيف الذي قام بين الامين والمأمون ، كما شهد هـذه الثورات العاصفة التي اثارتها الشعوبية من جهة والعصبيات من جهة اخرى ، ومطامع القواد من جهة ثالثة ، فكان له رأي لعل هذا الذي اوتر عليه صدر السلطان ، فقد سجل في شعر بليغ ثورة بغداد حين وقعت فريسة المطامع والشهوات فكان من ابلغ الشعراء الذين عرضوا لوصف مظاهر الفتنة فاستطاع ان يجمع بين « الموضوعية » و « الذاتية » في شعر رصين يمتاز الى سهولته بالقوة وان يرسم صوراً نفسية تدمع العين وتهز النفس هزاً .

وقصيدته في فتنة بغداد هي التي اثارتنـا للبحث عن سيرته وعن شعره المبعثر هنا وهناك دون ان يضمه ديوان . .

● ومن المؤسف ان لا تعرض له كتبنا الادبية هـذا العرض الشامل ، فقد رجعت الى الاغاني ، والى البيـان والتبيين ، والى الكامل والى الامالي ، والى معجم الادباء فاذا جميعها تذكره في سطور مستشهدة ببعض مقطوعات من شعره، على ان المؤرخ الطبري قد استغل شعره السياسي في وصف فتنة بغـداد فنشر قصيدته الكبرى ، وهي نون من شعر الملاحم ، تدل دلالة بليغة عـلى

شاعرية الشاعر ، كما تدل على صدق احساسه ودقة تصويره ، على انفته وكبريائه ، على صدى خصومته السياسية ونزعته الانسانية معاً ، وهذه القصيدة في اكثر من مئة بيت ، وهي سهلة واضحة ، قوية السبك مشرقة اللفظ ، ذات جرس موسيقي ، وهي الى سهولتها والى عذوبتها والى جمالها الفني لا بد لفهمها من الرجوع الى هذه البحوث التي كتبها المؤرخون عن الخلاف بين الاخوين الامين والمأمون وصراعها الدامي في سبيل الملك .

● كيف استوى الامين على دست الخلافة ؟

كيف لعبت السياسة دورها فأوغرت صدر الاخ على اخيه ؟

ثم كيف مدت البطانة شباكها فزينت للامين ان ينكث عهد ابيه ويجعل ولاية العهد من بعده الى ابنه موسى ؟

وكيف مهدت للمأمون ان يقابل الشر بالشر وان يحرض قواده على قتل اخيه ويجعل الخلافة من حقه ؟

ثم كيف قامت الاضطرابات والثورات والفتن ؟ من ثورة الجند والقواد على الامين مطالبينه بالمال والارزاق بعد ان ضعف سلطانه بمقتل قائده علي بن عيسى ، الى هذه الخصومة العنيفة بين قواد المأمون ووزرائه — بين طاهر بن الحسين والفضل بن سهل واتباعهما ، الى هذه الفتن التي قامت ببغداد والتي ظلت شهوراً عدة نشطت خلالها عصابات اللصوص وشراذمة الصعاليك ، فكان النهب وكان السلب حتى طغى سيل غاراتهم على تلك المدينة المنكودة .

نعم لا بد لمن يريد ان يتفهم قصيدة الخريمي في نكبة بغداد من ان يرجع الى هذه النصوص التاريخية قليلاً ، ولست اريد ان اقول ان القصيدة من الغموض بحيث تدق معانيها على فهم القارىء ، فهي سهلة كل السهولة ، واضحة كل الوضوح ، ولكن الرجوع الى حوادث التاريخ يجملك اكثر فهماً لروح الشاعر ، واكثر ايماناً بشاعريته ، فقد شهد الخريمي الحروب الكلامية والحروب الدموية التي تقدمت تسلم المأمون صولجان الملك وشهد اندلاع الثورة في بغداد وفي اطراف بغداد ، وكيف اغار الرعاع والجنود المرتزقة على العاصمة ينهبونها ويهدمون قصورها ، ويستبيحون حرماتها ويعتدون على نسائها فكان من ابلغ الشعراء العباسيين الذين وصفوا هذه المآسي ادق وصف وابلغه ، ومن يدري ؟ فقد يكون الخريمي من انصار المأمون ، وقد يكون ممن ينتمي الى احدى هذه المذاهب والفرق التي كافحها الامين ، وقد تكون النزعة الانسانية هي التي اوحت اليه ان يرسم تلك الفواجع وان يرسم تلك النبرات الحزينة . كل هذا جائز وهذا ما سنتبينه من سجوف هذه الصور التي ضمتها قصيدته .

● احب الرشيد قبل ان تدنو منيته ان يوطد دعائم الملك لولديه الامين والمأمون ، ولكن وازعاً نفسياً كان يقول له ان خلافاً سينشب بين الاخوين على الملك ، والقصة التي يرويها المسعودي في تاريخه «مروج الذهب» لتنبىء عن ذلك . فقد مثل الامين والمأمون في يوم ما ، بين يدي الرشيد ، وكان عنده الكسائي فطلب اليه ان يمتحنهما فامتحن الكسائي ذكائهما وادبهما ودرايتهما فما كان منه الا ان وصفهما بقوله :

« ارى قمري مجد وفرعي خلافة يزينها عرق كريم ومحتد

يا امير المؤمنين : هما فرع زكا اصله ، وطاب مغرسه ، وتمكنت في الثرى عروقه ، وعذبت مشاربه ، ابوهما اغر نافذ الامر ، واسع العلم ، عظيم الحلم ، يحكمان بحكمه ، ويستضيئان بنوره ، وينطقان بلسانه ، ويتقلبان في سعادته ، فامتع الله امير المؤمنين بهما ، وآنس جميع الامة ببقائه وبقائهما » .

وقد سر الرشيد من وصف الكسائي ، وضم ولديه ثم جمع يده عليهما ولم يبسطها حتى انحدرت الدموع على صدره ، ثم امرهما بالخروج فلما خرجا ظل الكسائي يراقب هذا الموقف الغريب الذي فسره الرشيد بقوله :

« كأنك بهما وقد حم القضاء ، ونزلت مقادير السماء ، وبلغ الكتاب اجله ، وقد تشتت كلمتهما ، واختلف امرهما وظهر تعاديهما ثم لم يبرح بهما حتى تسفك الدماء ، وتقتل القتلى وتهتك ستور النساء ، ويتمنى كثير من الاحياء انهم في عداد الموتى » .

وقد صدقت نبوءة الرشيد ، فما كاد يودع الدنيا حتى شب بينهما الخلاف على الملك رغم البيعة التي علقها في الكعبة والتي عقد فيها الامر لعبدالله المأمون بعد اخيه محمد الامين ، وكأنما التاريخ اراد ان يعيد نفسه في قصة « هابيل وقابيل » وما صراع الامين والمأمون الا بعض تلك المأساة الدامية الكبرى .

بويع الامين بالخلافة في اليوم الذي مات فيه هرون الرشيد ، ودامت خلافته اربع سنين وستة اشهر ، وكان اصغر من المأمون بنصف عام ، وكانت ايامه من خلعه الى مقتله سنة ونصفاً وثلاثة عشر يوماً حبس فيها يومين . .

فما هي الاحداث الدامية التي مثلت على مسرح العراق خلال هذه الفترة القصيرة .

اول ما فكر به الامين خلع اخيه المأمون من ولاية العهد وقد استطلع رأي القواد الذين كانوا يحيطون به فأدلى كل واحد

برأيه حسب اهوائه ومطامعه ، فمنهم من حذره من نكث العهد ، ومنهم من وافقه على الخلعة ، وكان في طليعة القواد الذين وافقوه على خلع اخيه علي بن عيسى ، فسيره في جيش عظيم نحو المأمون ، ولم يكد يقترب جيش ابن عيسى حتى اصطدم مع طاهر بن الحسين — وهو من اعظم قواد المأمون — بقتال عنيف انتهى بهزيمة جيش الامين وانهيار امانيه ، وما كانت هذه الصدمة لتحسم الخلاف بين الاخوين بل تجدد الصراع الدامي وما زال حتى حوصرت بغداد حصاراً عنيفاً انتهى بانهيار سلطة الامين وتمهيد الطريق لينتقل المأمون من خراسان الى بغداد ويتسلم صولجان الملك .

● يصف المسعودي ، الاثر الذي تركه حصار بغداد على عهد الامين بقوله : « وقد خربت الديار ، وعفت الاثار ، وقاتل الاخ اخاه ، والابن اباه ، هؤلاء محمدية وهؤلاء مأمونية وهدمت المنازل واحرقت الديار وانتهبت الاموال » .

وبعد ان يصف الحصار يقول :

« وظلت الحرب بين الفريقين اربعة عشر شهراً ، فضاقت بغداد بأهلها وتعطلت المساجد ، وتركت الصلاة ونزل بها ما لم ينزل بها قط مثله مذ بناها المنصور » وهذا الذي اثار الشعراء ليصفوا مدلهمات هذه الفتنة العمياء ، فكان الخريمي ابلغهم وادقهم فافتتح قصيدته الكبرى بوصف بغداد في ايام زهوها بقوله :

قالوا ولم يلعب الزمان ببغداد وتعثر بها عواثرها
اذ هي مثل العروس بادئها مهول اللقى وحاضرها
جنة دنيا ، ودار مغبطة قل من النائبات واترها (١)
درّت خلوف الدنيا لساكنها فيها بلذاتها حواضرها
فالقوم منها في روضة أنُق أشرق غب القطار زائرها

ومنها :

دار ملوك رست قواعدها فيها وقرّت بها منابرها
فلم يزل والزمان ذو غير يقدح في ملكها اصاغرها
حتى تساقت كأساً مثملة من فتنة لا يقال عاثرها
وافترقت بعد الفة شيعاً مقطوعة بينها اواصرها

وبعد هذا العرض الخاطف في وصف الشرر المتطاير من الفتنة يقف الشاعر وقفة الرجل الابي الذي صهرته الحياة ليقرع اولى الامر بوخزاته الاليمة وروحه الشاعرة فيقول :

ياهل رأيت الاملاك(٢)ما صنعت اذ لم يزعها بالنصح زاجرها
ما ضرها لو وفت بموثقها (٣) واستحكمت في التقى بصائرها
ولم تسافك دماء شيعتها وتبتعل فتيةٌ تكابرها

---

(١) مفزعها
(٢) الملوك
(٣) يشير الى البيعة التي علقها الرشيد لولديه في الكعبة سنة ١٨٦ هـ

يا هل رأيت الجنان زاهرة يروق عينَ البصير زاهرها
وهل رأيت القصور شارعة تُكن مثل الدمى مقاصرها
وهل رأيت القرى التي غرس الاملاك مخضرة دساكرها
محفوفة بالكروم والنخل والريحان قد دميت محاجرها
فانها اصبحت خلايا من الانسان قد دميت محاجرها
قفراً خلاء تعوي الكلاب بها ينكر منها الرسومَ داثرها
واصبح البؤس ما يفارقها الفاً لها والسرور هاجرها

وبعد ان يصف الامكنة التي اشتد فيها القتال يسائل نفسه مشدوهاً .

اين الظباء الابكار في روضة الملك تهادى بها غرائرها
اين غضاراتها ولذتها اين محبورها وحابرها
كأنما اصبحت بساحتهم عاد ، ومستهم صراصرها
لا تعلم النفس ما يبايتها من حادث الدهر او يباكرها

ولا يكاد ينتهى الشاعر من وصف هذه الصور المحزنة حتى يلجأ الى حكمته وثاقب نظره فيرفع الامر من يدي القضاء والقدر ليلقيه على عاتق بغداد المغموسة في حمأة الترف والجهل ، النائمة عن مجدها الناشيء فتفجر عن هذه الصرخة الملتهبة صيحات حزينة حيث يقول :

يا بؤس بغداد دار مملكة دارت على اهلها دوائرُها
امهلها الله ثم عاقبها لما احاطت بها كبائرها
بالخسف والقذف والحريق وبالحرب التي اصبحت تساورها
حلت ببغداد وهي آمنة داهية لم تكن تحاذرها
رق بها الدين واستخف بذي الفضل وعز النساكَ فاجرُها

ثم يصف الحرب التي دارت في ارض بغداد وفي اطرافها فيصف هول القتال ، وحيل المحاربين وعدد الحرب وهذه الفوضى التي انبثقت في كل ناحية فيقول :

من ير بغداد والجنود بها قد ربّقت حولها عساكرها
كل طحون شهباءَ باسلة تُسقط احبالها زماجرها
تلقى بغيّ الردى اوانسها يرهقها للقاء طاهرها
والشيخ يعدو حزماً كتائبه يقدم اعجازها يعاورها
كتائب الموت تحت ألوية ابرح منصورُها وناصرها
يعلم ان الاقدار واقعة وقعا على ما احب قادرها

● وهكذا يمضي الخريمي في وصف الحرب وصفاً واقعياً . وفي وصف فتنة بغداد ، فلا يترك ناحية من نواحيها الا ويعرض لها ، فمن وصف مظاهر الثورة ، الى مكائد البطانة والقرناء ، الى التحام الجيشين ، الى هذه المواقع التي جرى فيها القتال الى وقوف الاعمال واضطراب المتاجر ، والى هجوم الرعاع على اسواق بغداد ، الى هذا الذعر الذي شمل قلب المدينة واطرافها ، وكأنه كان يؤرخ بنزعته الفنية ما يسجله المؤرخ بلسان الواقع من ارتفاع اثمان القوت مثلا ، الى هذا الحصار الذي دام طويلاً حتى اصبح الاثرياء والتجار

يتمنون لو خذل الامين وانتصر المأمون ليستتب الامن وتسود الطمأنينة ، الى غير ذلك من الكوارث والفتن التي انصبت على عاصمة الخلافة الاسلامية في تلك الايام السود .

وقد كان الخريمي دقيق الحس ، بارع الوصف ، حتى لم يهمل في وصفه اهون عُدد القتال ، فقد ذكر « المقلاع » كما ذكر « المنجنيق » :

في كل درب وكل ناحية ... خطّارة يستهل خاطرها
بمثل هام الرجال من فلق الصخر يزود المقلاع باثرها
كانما فوق هامها عدف ... من القطا الكدر هاج نافرها
والقوم من تحتها لهم زُجَل ... وهي ترامى بها خواطرها

أرأيت كيف يصف هذه الاحجار التي يقذفها المقلاع او التي تقذفها سواعد الطرارين العراة — جنود الهرش !..

يشير المسعودي الى هذه الحادثة بقوله :

جاء قائد خراساني الى طاهر بن الحسين ، اكبر قواد المأمون ، وطلب اليه ان يخصه بحرب يوم ، فاجابه الى طلبه بعد ان حذره من جماعة الامين ، ولكن الخراساني لم يهتم لهذا التحذير وقال :

« ما يبلغ من كيد هؤلاء ولا سلاح معهم — مع ذوي البأس والنجدة والسلاح والعدة ؟ »

ونزل الى ساحة القتال بما لديه من بأس ونجدة وسلاح وعدة . فماذا لقي ؟ لقد بصر به بعض العراة فرموه مدة طويلة حتى فنيت سهام القائد .. وظن هو ان العريان فنيت حجارتهم ، فرماه احدهم بحجر بقيت في المخلاة ، فحمل عليه القائد ، فما اخطأ عينه ، وثناه بحجر آخر فكاد يصرع القائد عن فرسه ، فكر راجعاً وهو يقول :

« يا ابا طاهر ، ليس هؤلاء بناس ، هؤلاء شياطين » هؤلاء الشياطين الذين اعتمدهم الامين لمقاتلة جيش اخيه المزود باقوى عدد القتال في ذلك العصر وقفوا وقفة الكماة في هذه الحرب التي شنتها الشعوبية الاعجمية على العصبية العربية .

لقد حاربوا اربعة عشر شهراً ، ثم وقعت المأساة بعد ان حوصرت بغداد حصارها الطويل ومنعت عنها الارزاق وارتفع ثمن القوت عشرين مرة عما هو عليه في المناطق التي كانت في حوزة المأمون وقد ضاق الناس ببغداد وكان اكثرهم ضيقاً وبرماً المتمولون واصحاب الثروات الذين فرضت عليهم الاموال والودائع لمتابعة الحرب ، فما كاد ذريح والهرش قائدا الامين يباشران جمع الاموال حتى هرب اكثرهم الى خارج بغداد .

ان الخريمي لا يعرض الى هذه الامور التي عرضت لها كتب التاريخ ، اي انه لا يؤرخ هذه الاحداث الا بنزعته الفنية حتى لكأنك تقرأ قصة من قصص التاريخ ، وهو الى بكائه لا يشعرك بنزعته السياسية اي لاتستطيع ان تعرف لونه الحزبي وعما اذا كان يشايع الامين او يميل الى المأمون — ان هذه النزعة لا تظهر الا في القسم الاخير من القصيدة اي حين تهدأ الثورة .. فهو هنا اميل الى المأمون وان كان قد اخذ على الاثنين ان يهملا بغداد هذه العروس الجميلة التي يصفها في مطلع قصيدته بانها جنة الدنيا — اتون هذه الفتنة اللاهبة .

ويخال الينا ان الخريمي نظم قصيدته هذه في عدة فترات من حياته ، في احتدام اوارها ، في نهايتها المحزنة التي انتهت بصرع الامين وارتقاء المأمون سدة الملك ، ونترك الان هذه الاستطرادات لنتابع الشاعر في وصفه هذه الفتنة في اسواق بغداد .

بل هل رأيتَ السيوف مصلتةً ... اشهرها في الاسواق شاهرها
والخيل تستنّ في ازقتها ... بالترك مسنونة خناجرها
والنفطَ والنارَ في طرائقها ... وهابياً الدخان عامرها
والنهب تعدو به الرجال وقد ... ابدت خلاخيلها حرائرها

ثم انظر الى دقة الاداء وروعة البيان حين يصف الذعر الذي اصاب فتيات بغداد .

معصوصبات وسط الازقة قد ... ابرزها للعيون ساترها
كلّ رقود الضحى مخبأة ... لم تبد في اهلها محاجرها
بيضة خدر مكنونة برزت ... للناس منشورةً غدائرها
تعثر في ثوبها وتُعجلها ... كبّة خيل زيعت حوافرها
تسأل اين الطريق والهةً ... والنار من خلفها تبادرها
لم تجتل الشمس حسن بهجتها ... حتى اجتلتها حرب تباشرها

وهكذا فان النزعات الانسانية تبدو صادقة عند هذا الشاعر الذي تثيره هذه الفواجع التي كان وقودها فتيات مخدرات ، وعذارى معصوصبات ، وما اظن ان لوحة من لوحات امهر الرسامين تبلغ في الدقة من تصوير « الهلع » او « الذعر » الذي صوره الخريمي قبل الف عام ونيف بقوله :

تسأل اين الطريق والهةً ... والنار من خلفها تبادرها

وليس بمستغرب ان تتتالى هذه الصور قوية في شعر الخريمي ، فهو الى نزعته الفنية الصادقة في الوصف والتصوير قد عاش في قلب هذه الفتنة او على كثب منها يرقب احداثها وتطوراتها ، ويشاهد جثثها وقتلاها ويعرف رجالاتها وموقدي نارها ، فهو في كل ساعة امام منظر محزن يفتت القلب ويهز مكامن الشعور ، ولا تعجب بعد هذا ان يحشد هذه الصور الانسانية المتتابعة ، وان تسمع هذا الصوت الحزين المنبعث من اعماق امرأة ثكلى تولول كالمجنونة .

يا هل رأيت الثكلى مولولةً   في الطرق تسعى والجهد باهرها
في اثر نعش عليه واحدها   في صدره طعنة يساورهـا
فرغاء تلقى النثار من يدها   يحزها بالسنان شاجرهـا
تنظر في وجهه وتهتف بالثكل وعز الدمـوع خامرهـا
غرغرَ بالنفس ثم اسلمها   مطلولةً لا يخاف ثائرهـا

وكما بكى الخريمي لهذه الثكلى الحزينة التي ارتفع صوتها بالولولة حين رأت مصرع ابنها وقد غرغر بالنفس ـ فقد بكى ذلك المغوار الذي قضى في قلب المعركة دون ان تبكي عليه ام او دون ان يبكيه اب او اخ او ولد او ذو رحم او صديق . جثة ملقاة في الطريق تنهشه الكلاب باظافرها الحادة . وقد خضبت بدمه .

وقد رأيت الفتيان في عرضة   المعرك معفورة مناخرهـا
كل فتى مانعٌ حقيقتَه   تشقى به في الوغى مساعرها
باتت عليه الكلاب تنهشه   مخضوبة من دمٍ اظافرهـا

وتزخر عاطفته فيرسم الصورة تلو الصورة بمقطوعات تشيع اللوعة الباكية في كل كلمة من كلماتها ، وهو لا يقف عنـد هذا الوصف المثير لادق نزوات الالم بل يرسم ما هو ابلغ واقوى اثراً في النفس . وكأنه في وصفه بعض صور هـذه الفتنة العمياء يصف الحقد الانساني بابشع مظاهره ، بل يصف همجية القتـال وبداوته الاولى حين يشير الى الخيول التي تدوس بسنابكهـا جثث القتلى ، وهو لا يستعمل كلمة الجثث ولا « القتلى » بل يقول « اكباد فتية » اي يستعمل اصفى الكلمات وارقها لتدل على شاعريته المرهفة التي لا تنحدر بـه الى اللفظ المهلهل مهما تعددت صور القصيدة بل تتطاول مرتفعة وهنا تبدو براعته الفنية .

اما رأيت الخيـول جائلة   بالقوم منكوبة دوائرها
تعثر بالاوجه الحسان من القتلى وغُلّت دماً اشاعرهـا
يطأن اكباد فتيةٍ نُجُد   يفلق هاماتهم حوافرها

ثم يعود الى وصف المرأة البغدادية — تلك المرأة التي كانت تزاول شؤون الحياة كما كان يزاولها بعلها قبل ذهابه الى الحرب .

اما رأيت النساء تحت المجانيق تعادى شعثاً ضفائرها
يحملن قوتاً من الطحين على الاكتاف معصوبة معاجرها
وذات عيش ضنك ومقعسة   تشدخها صخرة تعاورها
تسأل عن اهلها وقد سلبت   وابتزّ عن رأسها غفائرها

كأني بالخريمي في قصيدته هذه يسجل هذه الاحداث في يوميات فهو لم يترك ظـاهرة الا رسمها بريشته حتى تلك المنكودة التي نزلت السوق لتبيع ما لديها من متاع تقتات بهُ ، فما هي هنيهة حتى تنهال عليها الاحجار وتسلب وتبتز الغفائرُ عن رأسها فتصبح حائرة وهي لا تدري ما تفعله !

ثم يقف الخريمي عند هذا الحد من وصف مظاهر هذه الفتنة واطوارها ليلتفت الى المأمون بعد دخوله بغداد فيخاطبه مخاطبـة الند للند . وينصحه ان يبعد عنه بطانة السوء وان يسوس الامور بعدل وحزم ، وان يترفع عن هذا الذي انحدر اليه قواده وعماله ، ويطلب اليه اخيراً ان يؤدب رجاله الذين عاشوا في المملكة وفسدوا ويصارحه بما يشعر به ويحسه دون جمجمة او خوف . فهو شاعر مستقل ، وهو ينقل الى الخليفة مـا يشعر به الجمهور ، ومن اولى واجباته وقد اسدل الستار على هذه المأساة ان يوطد سلطانه على العدل وان يشيع الرحمة بين الجميع ، وان يعيد لبغداد رونقهـا وجمالهـا ، وان يكون مليكاً للكل وللمجموع لا لفئة دون اخرى فيخاطبه بقوله :

اصبحت في امة اوائلها   قد فارقت هديَها اواخرها
ادبْ رجالا رأيت سيرتهم   خالفَ حكمَ الكتاب سائرها
وامدد الى الناس كفَّ مرحمة   تسدّ منهم بها مفاقرهـا
امكنكِ العدل اذ هممت به   ووافقت مده مقادرهـا

الى ان قال :

كم عندنـا من نصيحة لك في الله وقربى عزت زوافرهـا
دونك غراء كالوذيلة(١) لا   تُفقد في بلدة سوائرهـا
لا طمعاً قلتهـا ولا بطرا   لكل نفس نفس توامرها
جاءتك تحكي الامور كما   ينشر بزّ التجار ناشرهـا
حملتها صاحباً اخا ثقة   يظل عجباً بها يحاضرهـا

واننا لنلمس انفة الشاعر وكرامته وترفعه عن الانحدار الى هذه الانانيات التي تركت بغداد ورجالاتها سنة وبعض سنة في ثورة لاهبة وقتال شديد . نعم ، اننا لنتلمس هذا الاباء وهـذا الشمم بهذه الابيات التي ختم بها قصيدته والتي اعلن فيهـا عن شخصيته القوية التي عرفت مكانتها دون ان تنحدر الى هـذا الصغار الذي اعتاد ترديده شعراء المديح في مثل هـذه المواقف فارسل قصيدته الكبرى مع احد اصدقائه ، ولعل هـذا الذي أوتر عليه صدر السلطان او صدر بطانته فضاع اكثر شعره ، ولم تحفظ لنا الايام غير هذه القصيدة ومقطوعات في اغراض شتى لو جمعت لما بلغت قصيدة كاملة ، وما نظن ان شاعراً قوياً له مثل هذا النفس ثم لا يكون له ديوان ضخم كدواوين من عـاصره من شعراء الزلفى والمديح الا ان تكون السياسة قد طمست اثاره الادبية ، وهذا ما نميل اليه كما المعنا في صدر هذا البحث .

سامي الكيالي — حلب

(١) المرآة .

النظام واثره في الحياة

بقلم منير عانوتي

النظام مظهر من مظاهر الرقي في الحياة الاجتماعية ، ومقياس من اصدق المقاييس لعقلية الافراد والجماعات . وكما ان البناء يزيد في رونقه وقيمته احكام الوضع ، ودقة الصنع ، وجمال التخطيط ، فكذلك المجتمع الذي يهيمن النظام على كل فرد من افراده ، وكل طبقة من طبقاته ، وكل ناحية من نواحي الحياة فيه .

وكلما كان الفرد او المجتمع اعلق بالنظام واحرص على التقيد بمبادئه عن رضى وطواعية ، كان ذلك ادل على رسوخ قدمه في الحضارة وعلى سمو مستواه الفكري والثقافي . وليس النظام صفة موقوفة على المجتمع الانساني وحده فكل ما في الوجود من حيوان ونبات انما يخلق ويحيا ويتطور ويفنى ، تبعاً لنظام خاص لا يتطرق اليه الفساد ابداً . وكل بادرة تجري حوله من بوادر الطبيعة وكل حدث من احداثها انما يتبع في حدوثه منهجاً ثابتاً لا يتبدل . فالنظام الشمسي مثلاً مع مايتميز به من عدد الاجرام وسرعة جريها ودرجة حرارتها ومقدار احجامها وابعادها واسلوب دورانها بعضها حول بعض ، كل ذلك يبلغ من الدقة والانتظام حداً لا يدلف معه الخلل الى اي جزء من اجزائه ولو حدث شيء من ذلك لفسد النظام باجمعه .

والعلوم التي درسها العلماء واكتشفوا اسرارها وقوانينها ، كالكيمياء والطبيعيات والكهرباء والفلك والرياضيات وغيرها ليس كل واحد منها الا مجموعة نظم لناحية خاصة من نواحي الطبيعة او لمظهر واحد من مظاهر الوجود عرفها الانسان بفضل ذكائه وملاحظته ودراسته .

والاديان على اختلاف مصادرها ومذاهبها والمبادىء الفلسفية على تباين ميولها ونظرياتها هي شرائع وضعت لتنظيم حياة الناس والسمو بارواحهم ومداركهم الى افق يتضاءل فيه ظل المادة ويخفت صوت الغريزة ويتكشف فيه الوجود عن الحقيقة المثلى .

هذا فيما يتعلق بالعلم والدين واما في الاجتماع والنظام منه هو بمثابة السلك من العقد ، فلا يستقيم امر جماعة من الناس ولا يسعد حالهم ، ولا يوفقون الى النهوض والتقدم الا اذا كان النظام متمكناً من نفوسهم وقوانينه مرعية في كل امر من امور معاشهم .

ولا بد للامة في تنظيم شبابها واعمالها ومواردها من ان تنشيء ابناءها على حب النظام وتقديسه وممارسته منذ نعومة اظفارهم فقضية التنظيم الاجتماعي يجب ان تبدأ بالفرد اولا ما دام الفرد من الامة بمثابة القاعدة من البناء . ولا شك في ان تربية الفرد خلقية وجسدية فاضلة وتنشئته على اسلوب منظم من العيش هما المرحلة الاولى من تربية الامة كلها وتنظيمها .

وتنظيم حياة الفرد انما تكون بتهذيب ميوله وغرائزه وتنمية مواهبه العقلية والجسدية وتعويده العيش على اسلوب واحد مشترك بين سائر افراد الامة يتفق مع رغباتها واهدافها الوطنية المنشودة ، وهذا التنظيم ان كان من واجب الحكومات ان تساهم فيه اكبر مساهمة فعلى الفرد اولا بصفته مواطن وانسان اجتماعي بالطبع ، ان يروض نفسه على ان يحيا في بيته او في مدرسته او في متجره

او في مصنعه عيشة متزنة منظمة .

واذا ظل الفرد عاجزاً عن السير بحياته في الاتجاه الذي ترسمه له الحقيقة والمصلحة وعاجزاً عن ان يتصرف بشؤونه الخاصة تصرفاً حكيماً فالمجموع الذي يتألف من امثال هذا الفرد سيظل ايضاً بعيداً عن النظام والحكمة في تصرفاته .

وليس من العسير على اي فرد سليم التفكير ان يعرف كيف ينجو بحياته الشخصية منحى النظام والاعتدال في كل شيء . فينظم مثلا طعامه في اوقات وكميات معينة تفي بحاجة جسمه من الغذاء ويحدد ساعات نومه ويقظته ويوافق بين لباسه وبين فصول السنة ، ويعين لعمله ولهوه ورياضته اوقاتاً لا يزيد عليها ولا ينقص منها ، ويسلك في اعماله ونفقاته مسلكاً يتلاءم مع قدرته على العمل والانفاق ، وينهج في معاملاته مع الاهل والاصدقاء وسائر الناس منهجاً يتفق مع نفسية كل واحد من هؤلاء .

وعلى نظام الفرد يقوم نظام المجموع ، والانظمة الاجتماعية على كثرتها وتشعب اغراضها لا تخضع كلها لقوانين مدونة تشرف الحكومات على تنفيذها واقامتها بين الناس كما تخضع لها مثلا انظمة الاخلاق والسير والبناء والاجتماعات ونظام المعاملات التجارية والقضائية وغيرها . بل ان هنالك كثيراً من النظم الاجتماعية تحترم وتؤدى عن طريق العرف والادب الاجتماعي فحسب .

فليس من النظام والادب الاجتماعيين مثلاً ان تزاحم من تقدموك لشراء تذكرة للسينما وطابع للبريد ، او لدفع اشتراك الى احدى الشركات او لايصال مبلغ الى احد المصارف ، فالنظام الذي يقضي عليك ان تتريث حتى يجيء دورك هو نظام يقضي به الذوق الاجتماعي اكثر مما يقضي به قانون الحكومة او الشركة او المصرف

والنظام الاجتماعي هو الذي يجبرك ان تجلس في سيارة عامة فلا تتبسط في جلستك ، ولا تستوفي من المقعد اكثر من نصيبك ، وان تجلس في القطار فلا تضع حوائجك ورجليك على المقعد المقابل وان تدخل الملهى فلا تنفخ دخان لفافتك في وجوه الجلساء ، ولا تشرئب بعنقك حتى تحجب النظر عمن يليك ، ولا تأخذ مقعداً غير مقعدك عنوة .

كل هذه النظم اداب اجتماعية تواضع عليها الناس وعرفوها بالملاحظة والاختلاط والانتقاء . ولكن فريقاً من هؤلاء الافراد لا يتقيد بهذه النظم ولا يراعيها في حياته الاجتماعية ذلك بان هؤلاء لم يتملك من نفوسهم حب النظام ولم يتفهموا معانيه واغراضه ، ولم ينشئوا في البيئة التي درجوا فيها تنشئة اخلاقية منظمة . هؤلاء الافراد الذين يريدون ان تكون لهم الاسبقية في كل محفل ، والنصيب الاوفر من كل مقصد ، ان دل تصرفهم على شيء غير الميل الى الفوضى ، والتمرد على النظم المألوفة والاستهتار بالاداب الاجتماعية والمثل العليا فانما يدل على جشعهم وانانيتهم .

وهناك نظام الامة الذي يتصل مباشرة بقضاياها الحيوية الكبرى كنظام الحكم والجندية والتعليم والتربية الوطنية والنظام الاقتصادي والقضائي وغيرها .

ومن اول واجبات الامة التي تريد ان ترسخ قدمها في الاستقلال وان تتبوأ مكانة مرموقة بين الامم القوية المتحضرة ان تختار لنفسها من بين انظمة الحكم نظاماً ديمقراطياً يحترم صفوف الانسان وحريته الشخصية ويضمن لها بقاءها وسلطانها .

واما التعليم فهو السبيل الاوحد لتثقيف النشء وتربيته تربية وطنية رشيدة وتوجيه الشباب وجهة صالحة شريفة تتفق مع نزعاتهم في الحياة ولا بد لذلك من ان تبنى معاهد العلم واندية الرياضة في كل بقعة من بقاع الوطن وتوحد برامج التعليم والتربية فيها ويعهد بالاشراف عليها الى الاخصائيين والمربين . وصفوة القول ان النظام فضيلة اجتماعية لا بد منها لكي تستقيم حياة الفرد والمجتمع ومن اجمل نتائجه الاقتصاد في الوقت والنفقات والمتاعب فضلاً عما في التنظيم من جمال وقوة .

ولزاماً على الامة التي تريد ان تنهض الى مستوى الشعوب الراقية ان تلقن ابناءها النظام منذ الطفولة وان تنشئهم على حبه وتقديسه والتقيد به في كل شأن من شؤونهم الخاصة والعامة ، في المأكل والملبس ، والعمل والراحة ، والنوم واللهو والتفكير والقول ، وكل امة لا تخضع بافرادها ومجموعها لنظام قوي صالح هي امة سائرة حتماً الى الفوضى ، والفوضى سبيلها الدمار .

منير عانوتي

« الشاعر »

انا فكرةُ الأزل المبهمِ　　انا شدوُ قيثاره الملهمِ
انا شذرات ضياء سراج　　تشعُ على جدث مظلمِ
انا جولة الدمع في مقلة　　انا همسة الليل في الانجم
انــا فمُ لقمانَ في مصحفَ　　انا سحر هــاروت في مرقم
انـا رعشةُ الشعر في شاعرِ　　نجى الملائكِ عذب الفمِ
سلافى نشيــدي من عبقرِ　　فاشربْ من كوبها المفعمِ
بهــا شعلةٌ من عيون العذارى　　ومن ادونيس نقــاط دمِ

• • •

انا رعشاتٌ من الذكريات　　ورجعُ الصلاةِ وزهو الربيعْ
نشيــدٌ يحوّمُ فوق الرباب　　وكأسٌ بكفَ الندامي صديع
وقلبٌ يرفَ بجفنٍ حنونٍ　　وقلبٌ وئيــدٌ برمس الضلوع
شجي الشكاة، عميق الجراحة　　يقطرُ منه دمٌ ودموع
انا بسماتُ الهوى والشبــاب　　ولوعةُ ليلى وقيس الصريع
انا في خيــالك افقُ الخيــالِ ورؤيا الجمــالِ وحلمٌ بــديعْ
عرائسُ فجرٍ لبسنَ الغيــابَ بهيكلِ وحيٍ يُضئنَ الشموع

« الشاعر المجهول »

الحماقة البشرية

بقلم الدكتور نقولا فياض

■

لا اذكر اين قرأت ان احد القواد العظام واظنه فيليبكوس امبراطور القسطنطينية كان كلما اشرف على معركة وازفت ساعة القتال يذرف الدمع سخياً حزناً على من سيقتل فيها من الرجال . وسواء اكانت دموع تمساح ام رحمة ام افراط في التعبد فهي شاهد على حماقة الانسان الذي لا يحجم عن قتل اخيه الانسان .

من يدري عدد الضحايا التي تفترسها الحرب من كل جيل منذ وجد الانسان على هذه الارض الى يومنا هذا ؟ يقول فلاماريون ان الحرب السبعينية وحدها طاحت بنصف مليون رجل ، وحرب الانقسام في اميركا بمليون وحروب الامبراطورية بخمسة ملايين واذا اضفنا الى ذلك من قتل في حروب ايطاليا والنمسا وغيرهما بلغ مجموع القتلى ١٩ مليوناً .

وهكذا منذ بداية التاريخ لا ينقضي جيل دون ان تبيد الحرب منه مثل هذا العدد وقد يبلغ عدد القتلى في المعركة الواحدة مئتي الف رجل كما في غارات اتيلا او المواقع التي هزم فيها ماريوس الروماني قبائل التتون والسمبر او حروب جنكيزخان وتيمورلنك اللذين كانا يقيمان في كل محطة من طريق الفتوحات اهراماً من رؤوس القتلى . فيكون مجموع من يموت في كل عصر من العصور بالحروب الدينية والسياسية والاهلية على تقدير فلاماريون اربعين مليوناً .

منذ ترواده وداود وسميراميس وسزوستريس وكسرى وقبيز والاسكندر اربعون مليوناً من الرجال تراق دماؤهم كل مئة سنة ، وكثيراً ما يرافق هذه الدماء الحان المرتلين والتسابيح للآلهة . اربعون مليوناً كل مئة سنة لو جمعت معاً لبلغ عددها ملياراً وربع المليار اي ما يقرب من عدد سكان الارض اليوم . يا له من رقم هائل . اربعون مليوناً كل مئة سنة اي ٤٠٠ الف كل سنة اي ٣٠ الفاً كل شهر اي ١١٠٠ كل يوم أي واحد في الدقيقة . فكأن البشرية قائمة للذبح ابد الدهر لا تسقط السكين من يدها دقيقة واحدة . لقد ورث الانسان الحرب عن الحالة الحيوانية ولا يريد ان يتخلص منها . مئة الف من السنين على حساب البعض ومئتا الف على حساب البعض الآخر اتت على هذا الموجود منذ اتيح له الوجود وهو يناضل ويقاتل وهذا ما يسمونه تنازع البقاء .

تبدلت الوسائل ولم تتبدل الطباع وتحولت اسلحته من النبابيت والسهام الحجرية الى المدافع والمتفجرات وشهوة الدم باقية كما هي .

يقدر فلاماريون ما اريق من الدماء في هذا المدى الطويل من التاريخ بنحو من عشرين مليوناً من الامتار المكعبة اي ما يجعل منها نهراً كنهر السين يجري وانت تنظر اليه من مكانك يومين متواصلين قبل ان ينتهي ، وتسير مراكب البحار على امواجه الحمراء كما تسير اليوم في السين ، تتصاعد منها

نحو المباني والقصور من الروائح ما يتصاعد من الحفر في جحيم دانتي ، ولو بعث هذا المليار وربع المليار من القتلى ونصبت رممهم الواحدة فوق الاخرى لكان منها سلم بشرى يصل الى القمر ويدور من حوله ويوالي صعوده في اللانهاية الى ابعد من مليون من الاميال . ولو أخذت الرؤوس وحدها وصف الواحد الى جنب الآخر لانتظمت عقداً يحيط بالكرة الارضية ست مرات .

أضف الى هذه الخسائر في الاجسام والارواح ما يلحقها من الخسائر الادبية باتلاف منتوجات الفكر البشري كما فعل هولاكو عندما خرب بغداد فقد أقام جسراً من الكتب في دجلة لتمر عليه جنوده .

واذا نظرنا الى اسباب الحروب وجدناها تافهة على حد قول الشاعر يثير « صغيرات الامور كبيرها » . فمن حروب تروادة التي كان سببها اختطاف امرأة الى ما عقبها من الحروب الى حربنا هذه التي لم يعرف لها مثيل لم يكن السبب يوماً على قدر المسبب . ولكن الطمع لا ينفك يلعب بالرؤوس فتختار البشرية افضل اولادها واقوامهم ترضعهم وتغذيهم وتنميهم حتى اذا بلغوا زهرة الشباب ارسلتهم الى الموت . طمع جنوني يجيش في رأس الواحد فيجر القطيع البشري الى الذبح .

ويضطر الباقون الى الدفاع عن انفسهم فيجارونه مكرهين . اين هذا من الحياة الهادئة العاملة المفكرة السعيدة يريدها الانسان ويمنعه عنها الانسان .

وقد يظن ، وبعض الظن اثم ، ان الحروب ضرورية لمنع الازدحام وتكاثر البشر تكاثراً هائلاً يضيق عنه وجه البسيطة على حد قول الشاعر :

سُبقنا الى الدنيا فلو عاش اهلها
مُنعنا بها مِن جيئةٍ وذهوبِ

مع انه في امكان الارض ان تغذي عشرة اضعاف من عليها ، كما ان التقتيل لا يؤثر في تخفيف العدد لان الانسانية في تكاثر مستمر على نسبة مولود واحد في الثانية .

فالحرب في كل حال آفة على البشرية ولو قدر الانسان ان يتخلص منها واستغنى عن ضرورة الاستعداد لها وعما يسمونه السلم المسلح لاستطاع ان يلبي دعوة امه الارض بالاكثار من الايدي العاملة فتدر عليه خيرات لا تحصى . ناهيك بالاموال التي تنفق على ميزانية الحرب في كل دولة فقد قدروا ما انفق منها في المئة الماضية بسبعمئة مليار ولا نتكلم عن ما ينفق في هذه الحرب الحاضرة . هذه الاموال لو انفق معشارها فيما ينفع كتعميم التعليم المجاني في كل صقع وتحسين وسائل المواصلات بين البلدان باسرع واوفى مما هي عليه الآن وازالة الحدود الجمركية بين الممالك وانشاء المستشفيات الكثيرة وامداد الباحثين والمخترعين بما يحتاجونه لوفرت للانسان اسباب هنائه واستطاع ان يتغلب على الامراض المستعصية وان يطيل حياته الى اقصى ما يمكن ان لم يتمكن من التغلب على الموت .

حلم جميل لا ادري ولا احد في الناس يدري اذا كان في الامكان استحالته حقيقة . وبينما العقلاء من الناس يفكرون في تحقيقه كله او بعضه فالارض لا تزال تدور وتشهد حماقة البشر وتحتمل التقطيع والتخريب وتلبس الحداد وتغص بدم ابنائها المهراق على صدرها ولسان حالها ينادي :

الى مَ الى مَ يا عاتي — تحوّل عنكَ خيراتي
وتغرق بالدم الزاهي — بساتيني وجناتي
وتجحد نعمة الله

لقد غامرت في الحرب — بأموالي وآمالي
وكانت معك لي حال — فلم تثبت على حال
ولم تشفق على شعبي

فأين المنقذ الفادي — يعيد اليَّ امجادي
وينشر في دجى الحقد — على الباقين من وُلدي
شعاعَ الرحمة الهادي

نقولا فياض

بعد الامتحان ...

بقلم سهيل ادريس

... عرته رعدة خفيفة حين نظر اليّ ، وفطن الى انني كنت الحظه ... وها هو يعيد الى جيبه ذلك الرسم الذي كان ينظر اليه بعاطفة مشبوبة مكنونة ، ويتصنع انه غير مبالٍ ولا مكترث لما حدث .. وخشيت ان احرجه فتكلفت – انا الآخر – انني لم افقه شيئاً ، ولم آبه لشيء ، واستمررت في الاصغاء للمعلم يلقي علينا الدرس .

وتسألني هل كان زميلك وصديقك « راضي ... » معنياً بما يقول المعلم ، فاجيبك انه كان يصغي اليه ، ولكنه لم يكن ليفهم مما يقول شيئاً ، لا لأن الدرس غامض مبهم ، او لانه صعب المنال لعمقه ، بل لان « راضي » لم يكن متنبهاً له ، وان كان مصغياً ..

ان السر لاشك ، يكمنه هذا الرسم وحده ، ويطوي عليه جوانحه ، والى الان لم يتقدر لي ان اتبينه جلياً ، فافهم سره ، واستكنه غوره .. وقصارى ما عرفت منه ، انه يمثل فتاة لم ادر أهي من الجمال على غاية ، ام هي ليست كذلك .

ولا تخل انه كان من اليسير ان اعرف هذا القدر من قصة الرسم ، فها اني قد قضيت ستة اشهر أحاول ان اتعرف الى اكثر من ذلك فلم اقدر .. رسم فتاة : ذلك منتهى ما بلغ اليه جهدي في تتبع صديقي « راضي » .

ولكنني اطلعت على حظ غير ضئيل من المظاهر ، جعلني احدس بان في نفس « راضي » هوى يملك عليه فؤاده ، وينقله الى دنيا هي اقرب الى الخيال منها الى الواقع ..

عرفت « راضي » وودته منذ سنتين ، لازمته فيهما ملازمة الظل صاحبه ، وكنت آبى ويأبى مثلي ان يلزم في غرفة الدرس مجلساً غير الذي ألزم ، فزاملته على مقعد واحد طوال هاتين السنتين ، آنس به ويأنس بي ، ويجد كلانا في صاحبه مستودع مشاعره ..

وكان هذان العامان زعيمين ان يستنفدا اعجابي بصديقي الاعجاب كله ، وحبي اياه حباً لم اكنّ لاحد مثله . كنت احبه صديقاً على غاية من الوداد والصدق وزميلاً على ذروة من الاجتهاد والتحصيل ..

لم يعرف مدرسونا في العام الماضي انشط من « راضي » اجتهاداً ، ولا اكثر منه تحصيلاً ، فكانوا يعلقون عليه الآمـال الكبيرة ، ويتوسمون له المستقبل الزاهر الخصب . وكان اكثر ما يعجبهم فيه هذا التيقظ الدائم يسمح له ان يستوعب كل ما يقولون ، فكانوا اذا ألقوا بعض الاسئلة في اختبار ذاكرة التلميذ ، كان « راضي » اسرعهم الى التلبية ، واحرصهم على الاجابة جواباً صائباً صحيحاً ..

ولم يكن من عجب ان يجوز « راضي » في آخر السنة امتحان البكالوريا (القسم الاول) بنجاح وامتياز ، وهكذا اصبح موضع فخر مدرسينا ، ومحقق آمالهم . ولقد علمت ان صديقي انصرف في عطلة الصيف الماضية الى المطـالعة المثمرة ، والتفكير المنتج ، حتى لوحظ عليه تطور في ذهنه ، وتعمق في بصيرته ، ونفاذ في رأيه .. ولبث راضي موضع اعجاب زملائه طوال هذين الشهرين من السنة الجديدة التي نستعد فيها جميعاً للتقدم الى امتحان البكالوريا (القسم الثاني) .. ثم تتالت اربعة اشهر بعد ذينك الشهرين ، فاذا «راضي» فيها غير ما كان .. لقد اضحى الطالب النشيط العامل ، طالباً بليداً خاملاً ، وغدا التلميذ المفكر المروي، تلميذاً تستبهم عليه أيسر المعاني ، وتستغلق اسهل الافكار .. لقد اصبح راضي المتنبه اليقظ على غاية من الشرود والسهوم .. – ماذا دهاه ؟؟

تهامسنا بها نحن الرفاق ، وانطلقنا نتقول ونستنتج ونعلل كيفما تأتى لنا ، وكنت اسرع زملائي الى الاطلاع على بعض سره لانني كنت اقربهم منه وادناهم الى قلبه .. بيد انني لم أنتَ من هذا السر كامة ولم انعم بحرف .. فاكننته بين جوانحي ، وانـه لا يفتر يشغل فكري ، ولايني يرمض نفسي .. كنت احب راضي حباً لم ترتض نفسي معه ان اراه يكابد تلك اللوعة المحرقة التي تضطرم بهـا روحه ، وينصهر فؤاده .. كانت عاطفته الصادقة تبعث فيّ الشفقة عليه حيناً ، ورغبة مقاسمته ألمه حيناً آخر .

كنت استشعر في الحق بعض الضيق اذ اراه في غرفة الدرس معلق الانظار بالنافذة ، لا يغادرها الا حين يتنبه الى المعلم يغير جلسته او يصمت قليلاً ليعاود كلامه .. واذ ذاك ارى يدي صديقي تشتبكان ، واصابعه تتوشج ، فتضغط بقوة وسعر على طاولته .. ثم يلبث هنيهة على هذه الحال ، حتى تتلاشى قواه فيتراخى على مقعده ، وتغور عينـاه وتسدران ، فافطن اذ ذاك انه دخل في حالة اللاوعي حيث يتجمع فكره واحساساته في شيء واحد . وكثيراً ما تمتد يده في هذه الحال ، الى جيب صدرته ، فتخرج ذلك الرسم الصغير الذي كنت

احاول ان اتبينه جلياً لادرس خطوطه وملامحه ، فلا يتهيأ لي ذلك ، اذ يكون صديقي راضي قد استعاد وعيه ، واخفى الرسم في جيبه ، وهو ينظر الي ببعض الارتعاد والارتباك ..

. كنا لا نعلم من امر « راضي » غير الذي علمنا ، وكان الطلاب كثيراً ما ينتهزون فرصة الاستراحة ليقضوها في التحدث عن ذلك الشاب السادر في اقصى الملعب .. وكان اكثر ما يحدثني عن تلك الروايات التي ما برح يقرأهـا منذ اول السنة ، ويعبر لي عن اعجابه بقدرة المؤلف في تصوير العاطفة الجموح تنتاب بطل الرواية او بطلتها ، وانا اصغي اليه ، اخشى ان تفلت مني كلمة تؤذيه ، فالزم الصمت . ولم افطن الى ان هذا الشاب مفتقر الى من يبثه سره ، ويفضي اليه بمكنون فؤاده ، الا بعد حين الزمن .

ذلك انا دخلنا غرفة الصف بعد ظهر يوم مطير ، فبادر مدرس الفرنسية صديقي راضي بسؤال رغب اليه فيه ان يستعيد درس الامس فبهت الطالب ، واستغلقت عليه الافكار ، والتاثت الاقوال ، فلم يقدر ان ينطق بكلمة ، وظل صامتاً كأنما لسانه عقد ، وفكره عيّ ولبثنا ننتظر ان ينطق هو معتذراً ، او المعلم معاتباً كما اعتاد ، ولكن احداً منهما لم يفه بكلمة . ونظرنا الى المدرس فاذا هو مستغرق بفكر ، ونحونا بصرنا الى راضي فاذا هو معلق البصر بطاولته . ثم تحرك مدرس الفرنسية يمنة ويسرة ثم قال :

— يبدو لي انك عاشق ... فليقرأ الدرس طالب آخر .

وادار راضي عينيه في محجريه ، وحدق في المدرس وقد اصفرت منه الاسارير ...

وكان الطلاب زملاؤه يميلون على شفاههم بسمات خفيات ويلحظون اليه بطرف ساخر .. اما انا فلن انس ولم أرم ، وأيقنت اذ ذاك انني لن اتألم لراضي كما اتألم الآن ... وعصفت بي رغبة جموح ان استبثه سره ، علّني أقدر ان اسري عنه ، او افرج من كربه .. وكنت اسرع للحاق به في الطريق بعد الانصراف ، حين توقف والتفت ، فبسم اذ رآني ، ولما بلغته ، رفع ذراعه ووضعها على عاتقي بصداقة وحنان ، ولفت فيّ محدقاً ، ثم انحى عني بصره وقال بصوت متقطع : — سامي ... ان ما قاله المدرس عني لم يعد الواقع ! ...

فعرفت حينئذ ان راضي لم يعد في طوقه ان يكتم بعد سره ، فاقبل الي يحملني بعض هذا العبء الذي يحمله طوال خمسة اشهر ... وعلمت اذ باح لي بكل شيء ، وقص علي كل تأثراته ، ان هذا السر كان يفضي به حتما الى الهلاك ، لو انه ابقى عليه ، ودأب على اكتنانه .

*

... وكنت لا تسمع غير عبارات التخوف والتهيب ينطق بها كل طالب وتتجلى على قسماته ... ولم يكن حديث غير حديث الامتحان .. فالامتحان بعد عشرة ايام ، بل بعد خمسة ، بل بعد ثلاثة ... واذاً فلا ندحة لكل طالب عن تشجيع زميل له ، وبث روح الامل والرجاء في نفسه ... والحق ان كل طالب لم يكن الا ليشجع نفسه اذ يشجع زميله ! ... ذلك ان كل تلك العبارات التي يوجهها الى صديقه كانت مصحوبة بالتنهدات الطويلة يبعثها صدر يلح في الخفق ما مرت الساعات بل الدقائق . وكانت طلبات القيد قد ارسلت الى « المعارف » فصادقت عليها وجعلت لكل راغب في الامتحان رقماً خاصاً يعرف به . وكان رقمي العدد « ٩٠ » ورقم صديقي راضي العدد « ٩٤ » . وكان يفصلنا عن الامتحان بضع دقائق حين اخذنا نتندر ، فزعم كل منا لصاحبه ان رقمه نحس ، وتطير منه .

واذا نحن بعد دقائق في غرف الامتحان مستغرقين في حل ما عرض علينا . ورغم ان احدنا لم يكن ليملك ان يلتفت الى غير ما هو فيه من كتابة ، فلم اكن اقصر في الالتفات بين آن وآن الى صديقي راضي لاطمئن ان كان مستغرقاً في التفكير والكتابة . وسررت اول الامر ان بصرت به لا ينقل بصره عن ورقته ، غير اني عدت فالفيته بعد حين شارداً لا يكتب ولا يتأمل ، فاشرت اليه استلفته الى ما ينبغي ان يشتغل به باله . ولم يفطـن الى مرادي الا بعد حين ، فنظر اليّ بابتسامة صفراء باهتـة . والححت عليه غب الانتهاء بالسؤال عما اذا كان قد وفق في الامتحان التحريري ، فأجابني بعد لأي وتردد : « ارجو ان اكون قد وفقت » فداخلني بعض الغم ، وودعته على ان نلتقي بعد ثلاثة ايام ، في قاعة الامتحان حيث تعلق النتائج ...

وانصرفت بعد الى المراجعة استعداداً للامتحان الشفهي في اليوم الذي يعقب اعلان النتائج . ومما زادني رغبة في الدرس والاستعادة ثقتي بالنجاح في الامتحان التحريري ، ويقيني انني وفقت فيه الى غايتي . غير اني لم ارهق نفسي ولم احملها ما لا قبل لها به ، بل كنت حريصاً على ان اتفرّج من عناء الجد بانتهاز الفرص اقضيها في التلهي والتفكير ... غير ان ذكرى صديقي راضي لم تعزب لحظة عن ذهني ، بل لازمتني تستثير اهتمامي وتستبعث فيّ عواطف شتى ، وكان اهتمامي يزداد كلما تقضّت الساعات التي تفصلنا عن موعـد اعلان

النتائج ... ذلك ان قصة صديقي راضي ستستأنف مرحلة جديدة في ذلك الحين بعد طول ركود وهمود . سيرى صديقي راضي « منى علام » مرة ثانية ...

« في اوائل السنة المدرسية خرج صديقي راضي اصيل يوم هادي. رائع متأبطاً كتابه . وكان يلذ له ان يذرع طريقاً بعينها تتوسط حديقة زاهرة غير منسقة يتيسر لمن فيها ان يرى البحر . ولكنه حين بلغها أصيل ذلك اليوم ، بصر فيها بفتاة مستلقية على العشب الاخضر تقرأ هي الاخرى في كتاب ، فلم يلق اليها باله ، وطفق يذرع الطريق على عادته لا يكترث لها ولا يثني . وكان لم يقطع تلك الطريق اكثر من مرتين حين سمعها تقول عندما حاذاها : — الم تتعب من السير ؟فلفت‌فيها بشي. من الانبهات ، ونظر بعينين محدقتين وهو يقول بارتباك : — نعم ؟ ماذا تقولين ؟ فاجابته بصوت هادي، رزين :

— اسألك ان كنت تعبت من السير ؟ ثم ... الا ترى ان من الخير لي ولك ان تجلس ،فلا انت تتعب ولا انا يزيغ بصري !! ...

فاجابها بشي. من السرور : « الحق معك ... انا ... تعودت كل يوم ان اذرع هذه الطريق اقرأ في كتاب ... »

فلم تجب ، ولم يزد ... وسار خطوتين وانتحى مكاناً جلس فيه وكان يراها منه وتراه ... ولم يقدر ان يتابع القراءة ، ولم تقدر هي الاخرى . وكان كل منهما يلحظ الى الثاني بطرف خفي . ثم تشجعت هي فاستوت ، ودارت بعينيها فيما حولها حتى استقر عليه بصرها ، فبادرته قائلة : — في اي كتاب تقرأ ؟ » فأجاب بصوت لا اتزان فيه :

— في « التصوف الاسلامي » للدكتور زكي مبارك ... حقاً انه كتاب قيم ...

— « التصوف الاسلامي » ؟ كتاب ثمين جداً لولا ما فيه احياناً من استطراد مملّ ... قرأته فاغناني عن جميع الكتب ، ولن اقرأ غيره الى أن يحين الامتحان »

وسألها اي امتحان تقصد ، فاعلمته انها تستعد للبكالوريا (القسم الثاني) ... واخبرها هو الآخر خبره ... فبهتت بعد ان بهت ، وما لبث ان أنس اليها وأنست ... وطفقا يتكلمان عن المدرسة والدروس ، وسعة البرنامج ، وصعوبة بعض مواده ، والوقت الذي يقضيه كل منهما في اعداد دروسه ...

وكان على وفاق معها في جلّ ما تقول ... واحس كل منهما انه قريب الى الآخر بطبعه وخصائصه وتفكيره . ثم افترقا عن رضى وصداقة ، وعادا فاجتمعا في اليوم التالي فقضيا أمداً في التحدث . ويومذاك باحت له باسمها وباح . والتقيا يوماً ثالثاً قلّ فيه حديثهما نسبة الى اليومين الاولين . ولبثا اسبوعاً يلتقيان في تلك الحديقة وان حديثهما ليقصر يوماً اثر يوم ... حتى كان اجتماعهما السابع حين تصافحا بحرارة وشوق فخانتهما نظراتهما اذ احمرت الوجنات ، ورفت الجفون ، وتبودلت البسمات ... واسمعته انها سعيدة به ، راضية بلقائه ، فلم يجد كلاماً يقوله ، بل حمل يدها الى ثغره وطبع عليها قبلة اودعها نار شوقه وتسعر حنينه . ثم ودّا الافتراق ، ولكنهما توقفا وفي فكره ما في فكرها ... مكثا حيناً لا ينبسان . كان في فؤاد كل منهما رغبة في التلاقي بعد ، ورغبة عنه ... واخيراً عزما عزماً اكيداً ان يفترقا ، والا يجتمعان الا بعد ان يؤديا الامتحان ... بعد سبعة اشهر ...

وافترقا من غير ان يعلم منها الا انها « منى علام » ومن غير ان تعلم منه الا انه « راضي ... » . واستلم طرفاً من الطريق ، واستلمت هي الطرف المقابل ... ثم انه بلغ داره مفعم الفؤاد بالرضى والامن ، زاخر الروح بالهدوء والراحة ، وبات ليلته ، تداعب مخيلته ساجيات الاحلام ، ومعسولات الاماني . . ولكنه اذ نهض في الصباح كانت كل حاسة فيه تردد — « اية لحظة جنونية هي تلك التي عزما فيها الافتراق ، وان قلبيهما ليذوبان بالهوى والكلف ... » ولم يستطع ان يبقى على عهده ، فعاد في المساء الى الحديقة ، وثمة حيث كانا يجلسان وجد رسمها : الذكرى الوحيدة عاش سبعة أشهر في ظلالها ...

اتراها قصدت ان تترك الرسم ليأخذه فلا تعزب عن باله ؟ ام سقط الرسم منها عفواً ؟ ... لم يهتد الى الحل ... ولكنه كان لا ينفك ينحي على نفسه باللائمة ان بدا اقلّ منها وفاء للعهد ، وصبراً على التبريح ... وارتفعت في عينه الى منزلة رفيعة ، هي منزلة التقديس والاجلال ، الى الحب العميق الخائف ، والهوى المعذب اللائع . ولم ينقطع عن المدرسة ، ولكنه كان فيها كالهائم الشارد في صحراء ، وهو يظن ان لا بد دالف الى واحة ...

وفطنت الى حيرته في ذلك الجمع الزاخر ينتظر نتائج الامتحان .. كان راضي لاينى يلتفت يمنة ويسرة وبتشوق متطاولا ، ويجيل

بصره في كل مكان يبحث عن تلك التي سلبته هانيء العيش .. انها لا شك بين هؤلاء المتلهفين لمعرفة نتائجهم .. واخال ان صديقي انقطع عن هذا التفكير المعذب حين وقف احد الاساتذة يعلن نتائج الامتحان . وما كنت لترى بين آن وآن الا يداً ترتفع في الفضاء ، تصحبها احياناً صرخة ثاقبة ، فتعلم ان صاحب اليد قد جاز الامتحان بنجاح اذ قد سمع رقمه يعلن ، واسمه ينطق به ..او ترى عينين تغضيان بعد ان كانتا محدقتين منتظرتين ، فتعلم ان صاحبهما قد اخفق اذ لم يسمع اسمه ولا رقمه .. وكان الاستاذ معلن النتائج يقرأ الارقام متتالية حيناً ومتقطعة حيناً آخر ، حتى بلغ الرقم (٧٠) فبلغ تنبهي وتنبه صديقي كنههما .. وفي هذه الغمرة سمعنا الاستاذ ينطق بالرقم (٧٥) ويتبعه باسم منى علام ثم يتوقف قليلاً ليقول : « مع رتبة جيد جداً . » فخفق قلبي شديداً ماحاً ، ونحوت وشيكاً نظري الى راضي فاذا قسماته منبسطة ، واذا عيناه مشرقتان ، واذا شفتاه مفترتان عن شبه ابتسامة تحوى معاني الحنين المضرم والشوق الرغيب . واتجه بصره جهة ما ، فاذا به فجأة يتخطى الناس ويفسح لنفسه بينهم ، واذا انا اراه قد توقف امام فتاة كانت تنتظر قدومه .. وبرغبة الفضول ، شققت لنفسي طريقاً اليه حتى صرت على بعد يسير عنهما . ونظرت فاذا راضي يمد اليها يده ، ويصافحها بشوق وحرارة بهزات متتاليات،ثم ينطق همساً بهذه الكلمات : « اهنئك يا منى من كل قلبي على نجاحك الباهر .. »

فتهز الفتاة رأسها شاكرة ، وما زالت يدها في يده . ثم تسارع في سؤاله بالحاح ولهفة : « وانت يا راضي .. انني انتظر ان ينطق باسمك .. » وهزت يده بحرارة .. ثم رفع بصره بعد ان رفعت بصري فاذا الاستاذ يلفظ الرقم (٨٨) ثم يُتبعه بالرقم (٩٠) وينطق معه باسمي ، فيلتفت راضي بحيوية ، وان يده ما تزال في يد الفتاة ، حتى اذا رآني خلفه هز رأسه مهنئاً .. وانصتنا بانتباه فاذا الاستاذ ينطق مباشرة بعد رقمي بالرقم (١٠٠) ونظرت فاذا قسمات راضي قد حالت ، واذا عيناه قد سكنتا فما ترفان الا لماماً ، واذا يده قد جمدت في يد الفتاة التي احست تراخيه فدنت منه وقالت : « راضي .. الم يلفظ اسمك ؟ اما نجحت ؟ . » وكنت ادنو منها حين نحا راضي اليها بصره شارداً ، وكانت كفي تمتد الى عاتقه فتربت عليه بتعطف ، واذا انا ألفظ هذه الكلمات برصانة اود بها ان افرج عنه :

ـ لا بأس عليك يا راضي .. تجلد واصبر ، فانك ناجح في الدورة التالية ، في تشرين الاول ، اذا عنيت في الصيف بتقوية ضعفك »

وبصرت بالفتاة تفضي الى الارض نظرها ، وتلبث كذلك هنيهة تحدق فيها بسهوم ، وقد افلتت يدها من يده . واذا بصديقي راضي يضم كفه الى كفه الاخرى ، فتتوشج اصابعه ، ويضغط اذ ذاك بها جميعاً على جذع شجرة كان مستنداً اليها .. فطفرت الى ذهني صورة راضي التلميذ يضغط بقوة وسعر على طاولته .

ونظرت اليه ونظرت الفتاة وقد تنبهت ، فرأيناه يمور ويتراخى على صخرة كانت خلفه .. وتغور عيناه وتسدران ، ففطنت انه داخل في حالة اللاوعي حيث يغرب عن ذهنه كل شيء . ويتجمع فكره كله واحساساته في شيء واحد ..

.. كانت يده تمتد رويداً رويداً الى صدره فتخرج ذلك الرسم الصغير الذي كاد يبلى ..

ولبث راضي مطبقاً عليه يده لا ينأم ولا يتحرك ، سادر العينين لا يعي مما حوله شيئاً ..

وكانت الفتاة قد بدأت تنظر اليه بشيء من الذهول والاستغراب . ورأيتها كأنها تروم ان تتلفظ بشيء ، بكلمة او باسمه ، فأشرت اليها ان تلزم صمتها وتتربص قليلاً .. وكان قد مضى على راضي ما يزيد عن الدقيقتين وهو في تلك الغمرة ، حين ارتفعت بالرسم كفه ، فنظر اليه نظرة شاردة ، ثم رفعه الى خده ، واطبقه عليه بتأن وهدوء .. وافترت شفتاه تلفظان بوداعة ورقة : منى ...

وحينئذ فقط ، استعاد وعيه وحواسه ، فالتفت حوله فرآنا .. رآني احدق ، فنظر الى الفتاة فالفاها موجهة رأسها الى الناحية المقابلة .. وانتصب على مهل ، وقد اخفى الرسم في جيب صدرته . وكان يتقدم من الفتاة حين التفتت اليه ، فاذا على خدها دمعة كبيرة تتدحرج ملتمعة براقة .. وكانت بعد لحظة تلتقط هذه الدمعة بيد ، وتمد اليد الاخرى فتربت بها على كتف راضي بشوق وتحنان .. وسمعتها تقول وقد عادت اليها حيويتها : « ما عليك يا راضي .. سوف تنجح في دورة تشرين الاول .. ان تحمل الهم بعد الان .. فانني سوف اهتم بك ، واعنى بتقوية الضعف فيك .. سوف نتعاون على الدرس ، ولعلني ان اكون قادرة على هذا المطلب ..

.. وكان الدم قد طفر الى خديها ، فكساهما بحمرة قانية اظهرت غاية فتنتها وسحرها . والتفت الى راضي ، فاذا في عينيه نور الامل ، واذا على جبينه اشراقة الرجاء .. ورأيت الفتاة الجميلة العاقلة تنطلق على عجل ، فيتبعها الشاب الواله «راضي» كأنه حمل وديع ..

سهيل ادريس

صحو بعيد ...

●

سكرانُ هذا الليل ، لا تنفك ترعش مقلتاهُ
شرب النهار ، وناثرت منه الثمالةُ راحتاهُ
لهثاتهُ سكرى بصمتٍ لم تلجلجه الشفاهُ
غرقتْ بها اذني وأصغى في الضمير الاتجاهُ
انا شاردٌ في الشاطئِ المجهولِ مخنوقٌ هداهُ
ودمي يعربدُ بالذهولِ خضيبهُ فيه رؤاهُ
أنّى لمحتُ فكأسيَ المحمومُ مسفوحٌ لماهُ
تتموجُ الآهاتُ فيه فكلُ أفقٍ فيه آهُ
شربتُ سكونَ الليلِ بالطاسِ الذي استرخى مداهُ

ياهدأةً فوقتها بالسكو يزو في خطاهُ
انا شارب الليل العميق يضيع في نفسي سراه
في شاطئٍ يغفو الصباحُ وينطفى منه سناهُ

يا ايها الدنّ المنوّرُ سكر نفسيَ من شذاهُ
سكرتْ به الارياحُ واستخذى عليه الانتباهُ
والبحرُ صهباءُ المدى بحّ الزمانُ ، وما حساهُ

الكونُ عربدةٌ من المجهولِ غامضةٌ لغاهُ
الكونُ لونُ السكر لم يخطرْ على حدسي سواهُ
في الغيبِ شاربُهُ القديمُ بسكرةٍ هوجا وعاهُ
خدرت بمعناه الفهوم ومات فيه الاكتناهُ

علي محمد شلق — صيدا

فيكتور هوغو

لما بلغ فيكتور هوغو الخامسة عشرة من سنيه ، اي في العام ١٨١٧ منحته الاكاديمية الفرنسية جائزة لنظمه قصيدة عنوانها « فوائد الدروس » وفي العام ١٨١٩ احرز جائزتين من جمعية « جوفلورو » وهي اقدم حلقة ادبية في اوربا لنظمه قصيدتين من الشعر الغنائي مدح بهما الملكية . وفي العام ١٨٢٠ انتخب عضواً في تلك الجمعية لنظمه قصيدة « موسى على النيل » .

ولما بلغ الشاعر العشرين اعطى العالم الادبي باكورة اشعاره وهي مجموعة من الشعر الغنائي فنال من لويس الثالث عشر مرتباً قدره خمسون ليرة ذهبية ، وما لبث ان تزوج اديل فوشه التي كان يحبها من زمن طويل ورزق منها ولدين سماها شارل ، وفرانسوى فكتور ، وابنتين سماها ليوبولدين واديل ، ورزق منها ولداً آخر عاش شهرين ومات .

ولما بلغ الواحدة والعشرين اضاف الملك الى مرتبه الاول مرتباً آخر قدره مئة ليرة ذهبية فهز الادب بقصته الغريبة « هان ديسلند » ومجموعة اخرى من الشعر الغنائي . وما ان ادرك الثالثة والعشرين حتى منحه كارلوس العاشر وسام فارس من جوقة الشرف في الوقت الذي منح فيه لامرتين هذا الوسام . وفي العام ١٨٢٦ ظهرت قصته « بوكجركال » ومجموعة ثالثة من الشعر الغنائي . وفي العام التالي ظهرت مسرحية « كروموبل » التي وطأ لها الشاعر بمقدمة كانت شعاعاً ساطعاً في الحركة الادبية الجديدة قال عنها الشاعر تيوفيل غوتيه انها تضيء في الاعين كشرائع الله على جبل سيناء .

بدأ هوغو ينظم مسرحيته الشعرية هذه السنة ١٨٢٦ ولم يكد ينهي الفصلين الاولين منها حتى قرأهما على « تالما » اعظم ممثل في عصره فهتف تالما قائلاً : « عجل بمسرحيتك يا سيد هوغو فلم يبق لي صبر على الانتظار ! » على ان الموت ما لبث ان اختطف ذلك الممثل العظيم .



موسى على النيل

وفي العام ١٨٢٩ صدرت مجموعة جديدة باسم « الشرقيات » تفوق بها الشاعر على القصائد الغنائية الاولى لان الشرق الذي احسن وصفه كان قد شغل اوربا منذ بدء تمرد الامة اليونانية (١٨٢١) . وفي العام نفسه ظهرت قصة « آخر يوم من ايام محكوم عليه بالاعدام » ضمنها اغراضاً اجتماعية ودافع بها عن رجل حكم عليه بالموت تأثراً مع آلام الشعب على الجور والعسف ، واتبعها بدرس بليغ عن ميرابو . وفي العام ١٨٣٠ ظهرت مسرحية شعرية باسم « هرناني » اضرم بها الشاعر حرباً على المذهب الانشائي القديم (الكلاسيك) . وفي السنة التالية ظهرت مسرحية شعرية اخرى باسم « ماريون دهلورم » قال عنها

بول ده سن فيكتور انها اقرب ١٠ كتب الشاعر الى العاطفة. وفي السنة نفسها بدأ بطبع قصته « نوتردام دي باري » وهي تاريخية وقعت حوادثها في عهد لويس الحادي عشر قال عنها نقاد الادب في ذلك الحين انها اعظم اثر ادبي ظهر في العصر.

وفي تلك السنة نشر الشاعر مجموعة شعرية باسم « اوراق الخريف » واتبعها في العام ١٨٣٢ بمسرحيته الشعرية « الملك يهزل » على ان وزارة المعارف منعت تمثيلها بحجة انها تتضمن اهانة للملك وتقريظاً لقاتله، فرفع الشاعر القضية الى المحكمة سائلا أيجوز لوزير ان يعطل تمثيل مسرحيته ؟ فردت المحكمة احتجاجه بعد ان سمعت دفاعه وقد استغرق ساعتين، وفي السنة ١٨٨٢، اي بعد مرور خمسين سنة على الحادث وقبل وفاة الشاعر بثلاث سنوات عادت الكوميدي فرانسيز الى تمثيل « الملك يهزل » فهرولت باريس باسرها اليها هاتفة للشاعر مصفقة لانتصاره.

وفي العام ١٨٣٣ ظهرت مسرحية « لوكراس بورجيا » وهي اجمل مسرحياته النثرية، وفي العام نفسه مسرحية شعرية باسم « ماري تيدور » ومسرحية أخرى باسم « انجلو »، ومجموعة تحتوي فصولا في الادب والفلسفة، وكتاب يحتوي قصة اجتماعية باسم « كاود » ومجموعة شعرية باسم « اغاني الشفق » ضمنها آراءه السياسية في الحكم البونابرتي، ومجموعة شعرية اخرى باسم « الاصوات الداخلية ».

وفي السنة ١٨٤٠ أصدر الشاعر مجموعة شعرية باسم « الاشعة والظلمات » كانت آخر ما اصدر من الدواوين الشعرية قبل نفيه ونرى في هذه المجموعة بعض قصائد من أجمل ما نظم فيكتور هوغو حتى لقد فضل بعض النقاد وآخرهم فرنان غريغ في محاضرة له القاها في ردهة الاناال لعشر سنوات خلت قصيدة « اشجان اولمبيو على « ذكرى » الفرد ده موسه و « بحيرة » لامرتين.

وقد حاول هوغو في « الاشعة والظلمات » ان يظهر كمفكر سماوي فوض اليه ان يكون دليل الانسانية ونبيها الهادي. وكان هوغو قد عاد في العام ١٨٣٨ الى الملاعب بمسرحيته الشعرية « ري بلاس » التي وطأ لها بمقدمة بليغة جاء فيها : « ان موضوع المسرحية الفلسفي هو الشعب الراغب في الصعود من دركات الانحطاط الى الذروة العليا، وموضوعها الانساني هو حب رجل لامرأة، وموضوعها الفاجعي هو حب خادم لملكة ». وفي العام ١٨٤١ انتخب الشاعر عضواً في الاكاديمية الفرنسية. وفي العام التالي أصدر كتابا باسم « الرين » ضمنه قصص اسفاره، وفي العام ١٨٤٣ ظهرت « لوبورغراف »

وهي مسرحية شعرية فيها مقاطع موسيقية لم يرق الشاعر الى اجمل منها. على ان هذه المسرحية لم تكد تمثل حتى اخفقت، ذلك ان انقلابا فجائياً كان يهيأ في اذواق الجمهور، فالممثلة الذائعة الصيت « راشيل » كانت منذ العام ١٨٣٨ قد ارجعت الشعب الى المذهب الكلاسيكي، اي الى كورنيل وراسين، وفي العام ١٩٠٢ أعيد تمثيل « لوبورغراف » لمناسبة مرور مئة سنة على مولد الشاعر فاحرزت انتصاراً باهراً. وقد قال الشاعر الفرنسي الكبير ليكونت ده ليل في الخطاب الذي لفظه في ردهة الاكاديمية الفرنسية حين خلف فيكتور هوغو : « ان اشعار لوبورغراف » هي اعذب وارقى ما سمعته المسارح من مؤلفات هوغو.

ولم يكن الشاعر قد دخل بعد في الطور الجمهوري، سوى انه كان قد عرف بحريته ونزعته الى تحطيم القيود. فحين كان هوغو ملكياً حارب بشدة لاجل حزبه بنظمه اغانيه الشعرية « اود » التي كانت اشد وقعاً من مقال ينشر في جريدة او خطاب يلقى في ردهة المجلس. لقد انشد رجوع البوربون الى العرش وغنى الابطال الفاندين وحقر خصوم الملكية. ولم يكتف بذلك بل اضاف الى مجده مجد المنابر التي كان زميلاه شاتوبريان ولامرتين يسمعان منها صوتهما العظيم. وقد مثل الشاعر مراراً امام القضاء بسبب خطبه السياسية، وبقي مدة ثلاث سنوات يناقش حلفاء القدماء في حزب الشمال ولا سيما الكونت ده مونتلمبير، ولم يوضع لذلك حد الا عند الانقلاب في شهر كانون الاول من العام ١٨٥١.

وحين راح الشاعر يقاوم انتخاب لويس بونابرت شغل المنابر مدة طويلة تجلت فيها بلاغته الخطابية، ولم يتهيب ذلك الذي كان قد عزم على قتله فوصمه بالصغارة وسخر منه وسماه نابوليون الصغير. ومما لا شك فيه ان الخطب التي لفظها في شهر كانون الاول من العام ١٨٥١، ولا سيما الخطاب الذي بقي خمس ساعات يحارب به اعادة الملكية والذي اغمي عليه في آخره انما هي اعظم واشرف مواقفه السياسية. ولما حدث الانقلاب كان اسم فيكتور هوغو في رأس قائمة المحكوم عليهم فهرب الى بلجيكا ثم الى جزيرة جرسي

نرى في المقدمة التي كتبها لدراسته « شكسبير » وصفاً للشاعر في ذلك المنفى وهو يخاطب ابنه فرانسوى مجيلا نظرات كالحة في جدران منزله. فلما سأله فرانسوى رأيه في هذا المنفى اجاب : « سيطول » فقال : « وماذا تنوي ان تعمل اذاً ؟ » فاجاب : وسأكتفي بالنظر الى الاوقيانوس ».

ولكنه لم يكتف بذلك بل اخرج للعالم من منفاه روائع

خالدة ، فكأن افكاره اتسعت وامتدت لدى انطـلاق عواطف الاوقيانوس العجاج ا .

الرائعتان الاوليان هما « نابوليون الصغير و « العقوبات »صدرت الاولى في العام ١٨٥٢ والاخيرة في العام ١٨٥٣ ، و كلتاهما تحتوي قنابل حقد وسخرية اطلقها الشاعر على سياسة نابوليون الثالث . فاما العقوبات فمجموعة شعرية تتضمن سبعة آلاف بيت نظمها هوغو في منفاه وهو جالس على كرسيه امام المحيط المصطخب والصخور الجردا. كما يجلس القـاضي العادل على كرسي الحكم . هي نفثات غضب وحقد اوحاهـا شيطان السياسة فجاءت اعظم اثر للشاعر . وفي العـام ١٨٥٦ اصدر مجموعة شعرية جديدة باسم « التأملات » وبعد مرور ثلاثة سنوات اصدر « اسطورة العصور » وهي اعظم اثر شعري خطه قلم هوغو ، وقد دافع فيه عن الحرية وقاتـل القتـلة والجلادين ، وفي هذاالديوان الواسع النطاق نجدالفلسفة والدين والتاريخ والاقـاصيـص والعلوم .

وفي العام ١٨٦٢ ظهـرت قصـة « البؤساء » وهي اعظم اثر نـثري لفيكتور هوغو . وبعداربع سنوات صـدرت قصـة « الرجـل الذي يضحك » وكان قبـل سنة اصدر مجموعة شعرية باسم « اغاني السبل والغابات » قال عنها تيوفيل غوتيه انها تحتل في مؤلفاته مقاماً ثانوياً ، فكأن الشاعر مل السكن في مخدعه الصغير فخرج يركض في السبل والغابات وراء الصراصير والفراشات .

وفي سنة ١٨٧٢، اي حين بلغ الشاعر السبعين من عمره ،اصدر مجموعة شعرية باسم « السنة الرهيبة » كتب قصائدها في ساعات الغضب وتدفقت واحدة اثر واحدة من فوهات الاحداث التي كانت تتأجج في صدر الشاعر . ولما بلغ السادسة والسبعين اصدر مجموعة شعرية اخرى باسم « الخليفة » تصور الشاعر ان الخليفـة ترك في احد الليالي قصره وراح يبشر احد بطاركة الشرق بالحب الصحيح لاعناً جلادي العالم ، محطماً خشبات المشانق ، موقفـاً الحروب عن اجتياح البشر وفي السنة التالية نشر هوغو مجموعة شعريـة اخرى باسم « الرحمة الالهية » اطلق فيها عواصف اللعنـات على القتلة والجلادين . وفي العـام ١٨٨٠ اصدر مجموعة شعرية باسم « ديانة واديان » وفي السنة نفسهـا اصدر مجموعة شعرية فلسفية باسم « الحمار» حارب بها الفلسفات والعلوم . وفي السنة التالية نشر مجموعة اخرى باسم «اهواء الفكر الاربعة» قسمها الى اربعة اقسام سمي الاول منها « العصر » والرابع « الثورة » .



جماعة الرومانترم تحاول احراق شعر راسين المستعار ، وجماعة الكلاسيك تسعى لاطفاء الحريق

وبعد مرور سنة على وفاة الشاعر ، اي في العام ١٨٨٦ ، ظهر ديوان جديد باسم « نهاية الشيطان » بدأ به هوغو في العام ١٨٥٤ واعلن عنه في مقدمة «اسطورة العصور» وقسمه الى ثلاثة اقسام : السيف ، المشنقة ، السجن ، وهذا الاخير بقي غير كامل . وقد ضمن الاول مشهداً رهيباً من مشاهد فظائع الحرب أظهر فيه ابنة الشيطان تعلن حرباً على الله ، وضمـن الثـاني الانقـلاب الذي احدثه المسيح على الارض وتكفير الشيطـان بعد ان شعر بحب الطبيعة والانسان والخالق ، وارانا ابنة الشيطان تستحيل الى ملاك الحرية ، وهي امرأة ولدت من ريشة سقطت من جناح ابليس فهدمت السجن الذي هو الباستيل

حين ترك الشاعر فرنسا لفظ كلمته المشهورة : « لن ادخـل فرنسا حتى يدخلها العدل » وبقي في منفاه يحـارب الامبراطور نابوليون الثالث الى ان سقط هذا الاخير في ايلول ١٨٧٠ فتحطم ذلك المنفى الذي عاش فيه عشرين سنة . ولما عاد الى باريس جرى له استقبال منقطع النظير .




ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشيد الام

لصلاح الاسير — تلحين محيي الدين سلام

الام : انا الآلام أبني الدهر من روحي ومن جسمي
خلقت وبي من الاسحار وجد الليل للنجم
احس الهم من قلبي ربيعاً اخضر الحلم
والقى الله قربي في نداء الطفل يا امي
انا الآلام همي ان أظل أليفة همي
هناء العمر شيء لم يعانق طيفه وهمي

الابنة : انا الآمال سر منك أفقي ملء احلامي
على عيني اوهام تظلل سود ايامي
فيا أمي انا الدهر وانت الشاطىء الحامي
تولول بي خيالات الغد المتوثب الدامي
ولولا وجهك السماح لم أضحك لالامي

واشرف ما يرون في امومتها العذاب الذي تحملته لاجله . قال الشاعر الانكليزي لونغلو : ان اروع ما ارى في السيد المسيح تفكيره في امه ساعة الموت وقوله موصياً لتلميذه يوحنا الحبيب : « هذه امك » .

واجل ما يؤثر عن محمد الرسول الكريم قوله : اعظم الناس حقاً على المرأة زوجها، واعظم الناس حقاً على الرجل امه . واجلّ من ذلك ايضاً قوله : الجنة تحت اقدام الامهات .

ان تذكار الولد لامه يرطب جفاف قلبه ويعيد اليه النضارة والحنان والنعومة التي ابتعدت عنه بقدر ابتعاده عن امه . ان عيد الامهات يلطف اخلاق الامة المحتفلة به تلطيفاً استدلت عليه الحكومات الراقية بكون الجرائم تتناقص يوم هذا العيد . لان محض تفكير اشرار في امهاتهم يعيد الى قلوبهم شيئاً من روح الله .

فهنيئاً للبنان بعيد امهاته وبالحبور الذي يشعر به كل لبناني على الاطلاق اذ يبارك اليوم لامه ويدعو لها بطول العمر . وتقوم كل فتاة لبنانية مقام امها في تدبير امور المنزل . وان كانت الام راقدة برحمة الله قريباً زار ابناؤها قبرها . وان كان القبر بعيداً جلسوا الى خيالها اللطيف نصف ساعة متذكرين مترحمين .

امين الغريب

الى القراء

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .

— قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانية . ولا تقبل الاشتراكات لهذه السنة الا من الاماكن التي لا تباع فيها المجلة .

في الخارج : جنيه مصري واحد . ولصاحب الاشتراك في الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة .

— الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد في البريد .

— احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا الجزأين الاول والثاني) فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها من الادارة .

— الادارة مستعدة لشراء اي جزء من اجزاء السنة الثانية بـ ٥٠ غرشاً لبنانياً، اذا كانت بحالة جيدة . وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن الجزء الاول او الثاني من السنة الاولى .

— المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

— توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

الادارة

المرأة في الحياة الزراعية

بقلم السيدة نازك العابد بيهم



كنت اشعر منذ الصغر بميل قوي الى مزاولة الاعمال المجدية (١) . ولما اتيح لي ان ارفع صوتي في المجتمع كان اول ما يخطر لي اذا وقفت خطيبة او كتبت مقالا موضوع العمل وما يجب ان يكون موقف المرأة منه .

وما امعنت التفكير في رقي بلادي الا وثبت عندي ان السبيل الى ذلك يكون بتأمين اقتصادياتها وتحرير شؤونها الحيوية ثم ما تدبرت امر المرأة ومصيرها الا وتأكد لدي انها عبثاً تطلب مساواتها وتحررها وعبثاً تتوخى بلوغها مرتبة الشقيق اذا بقيت عالة عليه في حياتها .

وكم كنت خلال ذلك اشعر بألم وحسرة حينما كنت اتلو المرة بعد المرة مقالات حدد كاتبوها وظيفة المرأة ضمن نطاق المنزل : إدارة المنزل ، تربية الاولاد ، تأمين راحة الرجل - تلك واجبات مقدسة لا ننكرها ، ولكنها واجبات لا تشغل كل اوقات المرأة فاذا حاول الرجل ان لا تخرج ابنة حواء عن نطاقها الى اعمال اخرى مفيدة للبيت والمجتمع فكأنه يتعمد ان تبقى عضواً اشل في المجتمع لا وظيفة لها الا الخدمة البيتية .

المرأة صنو الرجل بل لولا التواضع لزعمت انها تمتاز عليه بدقة الشعور ورقة الاحساس . فاذا كان الباري اهلها لان تكون عضواً عاملاً في مرافق الحياة وجعلها كفوءاً لتحصيل كل علم وفن فلماذا يضيق عليها الانسان في تحديد الحقوق والواجبات . الا يرى الرجل بان المرأة تصرف الشطر الكبير من يومها وهي تتحرى عن عمل يملأ الفراغ من وقتها ، الا يراها انها حينا لا تجد وانها حينا تغرق في لجج الاعتقاد بانها مخلوقة للمحبة فحسب تنصرف الى الزينة والتبرج

ومن الظلم ان يجعل الرجل مثل المرأة الاعلى حيازة قبوله ورضاه ثم يندد بالتالي بافعالها عند ما يراها لا تفكر الا في الزينة واللباس وتتطلب الكثير في سبيل ذلك .

حببوا اليها الاعمال النافعة اجعلوها تعتقد بانها خلقت ، كما خلق الرجل ، قادرة على كل عمل ، كي لا تشعر بحطة في نفسها فتكون امهات اولادكم بمثابة الخادمات ، اليس من الغبن ان تميت في هذا المخلوق اللطيف النابه غرائز طبيعية ربما كانت مصدر سعادة الاسرة والمجتمع .

اجل ان المرأة مدعاة السرور ومجلبة الهناء وفي ابتساماتها روح اللطف وفي عبراتها انس الوجود ولكن على ما تتحلى به من رقة الشعور ودقة العواطف وحنو الفؤاد وعلى ما تمتاز به من التواضع والصبر والعفاف هي باشد الحاجة الى كرامة الذات وكبر النفس باشد الحاجة الى المحافظة على شعورها ، كل ذلك لتحتفظ باخلاصها وليكون حبها حباً طبيعياً : حب الحر للحر .

كنت اشعر بكل هذا خلال تفتح عيني للحياة ، اشعر بواجبي نحو وطني بواجبي نحو قومي وبواجبي نحو بنات جنسي فاردت ان اتخذ من الصحافة لساناً لي ويداً استعين بهما على تحقيق هذه الاماني الغالية فعمدت الى نشر مجلة خاصة هي مجلة نور الفيحاء وكانت اسبق المجلات النسائية الاسلامية في سوريا ثم اشتركت في كثير من الجمعيات ولكن بالرغم مما اشعر به من اطمئنان وجدان وارتياح ضمير لم اجد السعادة التي انشدها الا على بعد عشرين كيلومتر من دمشق هناك في مزرعتي الريفية التي رأيت بها اثار خدماتي وشممت بنسيمها اريج الثناء على جهودي اجل هناك حيث ما قمت بواجب الا وكوفئت باحسن منه فالشجرة التي اوليتها عنايتي ملأت بيتي بثمارها الشهية والحبة التي زرعتها بعطفي عوضت على روحي بعبيرها . وهناك حيث تغمرني المواشي بكرمها فاشرب من اطايب البانها

(١) حديث ألقته السيدة نازك العابد بيهم في اجتماع اقامته جمعية اخوان الثقافة في بيروت

وانعم بعطفها الطبيعي وشعورها بالجميل .

فاذا دعوت بنات جنسي الى العمل فعذري انني اجني ثمراته واذا دعوتهن الى الحقول فعذري اني اتذوق لذتها . والزراعة هي المورد الاهم لبلادنا وعلى قدر عنايتنا فيها نتمتع في ما نريد ونتمنى من رخاء وان ادعوكن يا اخواتي الى الارض فانا لا ارتكب بدعة كلا بل ان المرأة كانت منذ الخليقة شريكة الرجل في استثمارها ولا تزالحتى الان . واما ترك القرية ومغادرتها الى المدينة للتحري عن العمل فهذا عارض او علة اجتماعية يشكو الغرب منه ويوجس خيفة من مغبته كل من الشرق والغرب . وما دامت المرأة العربية قد بدأت تفكر في العمل المجدي شئنا ام ابينا مراعاة للحياة الاقتصادية ومجاراة لروح العصر فاری المجال متسعاً امامي لاناديها بلغة الحب والحنان فادعوها الى الحقل ، الى الزراعة ، الى الارض . فهنا نجد الكفاف وهنا نجد الثروة وهنا نجد الاستقلالوفي الارض وحدها نكاد ندركالسعادة المنشودة . واما الاعمال الحرة الاخرى كالطبابة والصيدلة والادب والفن والصحافة فهي اعمال محدودة المدى فلا يمضي وقت قصير حتى نرفع اصواتنا قائلين كفانا اديبات كفانا طبيبات كفانا معلمات ولكن ان نقول ابداً كفانا فالحات زارعات ولن نقول حسبنا للدواجن من مربيات .

والزراعة هي اليق المهن للمرأة التي حباها الله بغرائز صالحة للتربية والتنمية : الحنان والعطف والصبر ، هي صفات غريزية تتمتع بها المرأة فتسهل عليها القيام بوظيفة الامومة . وهي ميزات يحتاج اليها مزاولو الزراعة فالنبتةوالشجرةوالزهرةوالماشيةوالدواجن يعوزها كلها ما يعوز الطفل من رعاية وعطف وطول اناة .

وكأني ببعضكم يستخف بدعوتي . وكأني ببعض الفتيات المتعلمات يهزأن بتمنياتي قائلات ألمثل هذا قضينا الاعوام الطوال في الدرس والتحصيل ؟ على مثل هذا عقدنا الآمال الكبار المستقبل ؟

ثم هن ينفرن من حياةترافقها العزلة وتصاحبها الوساخة ولاالوم احداً على اجتهاده وانما اود ان اعلن بان ما نشاهده من انحطاط شروط الحياة الزراعية بيننا ليس شرطاً ملازماً لهذه المهنة فالفلاح في العالم الغربي رفيع المستوى نظيف البيئة . اما انحطاط مستوى الحياة الزراعية عندنا فهو تابع لانحطاط العاملين عليها . ولو عنيت بها الطبقة المتعلمة فانها تعلو الى مستواها وان التي تحدثكم هيعلى يقين مما تقول فقد اختبرت الحياة العملية الزراعية اذ زاولتها بنفسي منذ عشرين سنة وها انا اتنعم بثمرةجهودي ، اراد المرحوم والدي ان يجرب طموحيفي مزرعة له ولما انست من نفسي النجاح وددت ان تكون جهودي مبذولة في مزرعة خاصة لي دون سواي . فملكني مزرعة كبيرةالمساحةولكنهاسبخةالارض كانتقداستعصت على جدي .

أهداني هذه المزرعة وهو على يقين اني سأجد فيها السلوى وسأجد فيها الميدان الفسيحلمطامعي وهو على يقين ايضاً باني سأنفق عليها دون ان استطيع تذليلها واستثمارها واني سأنزل في النهايةعند رأيه واهجر الزراعة أمام ما القاه منالصعاب ، اما انا فقد مضيتفي عزمي واستهنت بالصعاب وبعد مضي بضعسنين استطعت انابشر ذوي باني تمكنت من تذليل الارض دون ان تذللني ولطالماشددت بيدي على المحراث ، وكم قدت الثيران بنفسي وقمت على العناية بها وكم نهضت من فراشي في ظلام الليل للاشراف على ري الحقول . وانا ارى خلال ذلك السعادة ترافقني واشعر براحة الضمير تغمرني .

وتزوجت بعد هذا واصبحتربة منزل وعندي ابنتان يتيمتان اربيهما . ومع ذلك فان حبي لزوجي واخلاصي له وواجبي نحو بيتي لم يضعف الحب الشديد الراسخ في قلبي لمزرعتي ، ولم يحل بيني وبين تخصيصها بعنايتي فلا تسنح فرصة الاواهرول اليها تاركة المدينة بكل ما فيها من انس واجتماعات وراحة ورفاهية ،وسروري ان استظل في ظل الاشجار التي غرستها بيديوان استنشق عبيرالازهار التي ارويتها بساعدي ، وان اسمع اصوات الابقار التي ربيتهابعطفي

وحبذا ايتها الفتيات لو شاهدتن معي سحر الشروق وروعة الغروب في تلك الناحية الخضراء ، وحبذا لو رأيتن ملكة السماء خلال سكون الليل وساهمتن معي في مشاهدة فتنة الفجر والطيور تعزف موسيقى الطبيعة على نغمات الحياة وحبذا منظر المواشي تغادر منازلها في الصباح وفي المساء وتبتعد عنها جماعات كأنها امواج البحر المتلاطم ولها هدير يتصاعد من افواه صغارها حين الوداع وحين اللقاء، وحبذا وحبذا . . . انه لسحر والهام وشعر وخيال وانه فوق ذلك الكفاف واستقلال .

وهناك يا سيداتي لا تحتاج المرأة للرياضة الفنية تقوياً للابدان ولا تلجأ للتجمل طمعاً بمظاهر الصحة وحمرة الالوان .

لا ضرورة هناك للتنس والفوتبول ولا لزوم للاصباغ ادراكاً للجمال وانما الطبيعة تكفينا مؤونة التكلف والصناعة الى ما تمنحنا فوق كل ذلك من صحة الاجسام .

نازك العابد بيهم

الادب التركي الحديث

اوردت « لباشار نبي » في العدد السابق مقطوعتين ، ورغبت في ان استزيد من هذا الشاعر الشاب الموفق فانتقيت له ايضاً بعضاً من مختاراته :

« انتظار »

« بعيداً عن الشط على متن موجة زاخرة بالاحلام البيض
« أنطلق بزورق مجنح بالامل بعيداً عن الشط .
« اريد ان ابتعد يوماً فيوماً .
« الى مطرح مجهول منعكس في عينيك الذاهلتين — فلا اعود .
« ولكن لا الشمس ولا القمر يتعديان أفق مطرحي المظلم هذا .
« وامواج هذا البحر تلتطم دائماً بالغيوم التي تظلله .
« وعبثاً ارقب همود العاصفة .
« فوق هذا البحر حيث تدب أحلك الظلمات ،
« أرقب الاسحار النيرة الساحرة .
« وأملي مشرع كشراع زورقي الحالم .
« على اهبة الابتعاد نحو الامداء البعيدة .
« إنا ارقب ، من اجل هذا ، صحواً وهدوءاً ونسيماً

« النحّات »

« تفرّغ الخالق زمناً طويلا
« وانكب على الطين يسقيه من ماء جبينه
« ليبلغ بشكلك أوج الكمال .
« فأخذ من ضوء النهار لونك
« ومن اعماق البحار هدوء عينيك
« ولكن خالقك نسي ان يجعل في قلبك قليلا من الحنان .
« وانا الذي كيّفت بيدي هذه ، اصلب المادن
« وخلقت من الحجر شكلا
« وعرّيت الرخام كما تعرى البرتقالة
« إسأل نفسي : أباستطاعتي ان أنحت هذا القلب ايضاً ؟
« لقد تعبت وسفحت ماء جبيني
« وسدى ذهبت جهودي
« ردّي اليّ ، ردّي اليّ رخامي
« فكتلة اللحم هذه اقسى من الحجر . !

« عيناك »

« عيناك شذا ولحن يغمراني
« عيناك المشعتان في كل برهة بحس جديد ،
« سحّ الشهوة منعها والتماعها في مائها
« شهوة محرقة تلتهم اضرى نهم .
« وهكذا عندما اطيل النظر الى عينيك
« يمحّي العالم كمثل الحلم ، من عيني
« ويهدأ خاطري برهة ، والزمان برهة يهدأ
« وتنساب من حولي مياه لا لون لها ولا حس .
« هبيني عينيك كما لو كنت تهبين نفسك .
« انظري اليّ هنيهة كما لو كنت تذوبين لذة
« وسيان في نظراتك ، اللذة والموت
« وكلاهما من نثار عينيك .

غطوس الرامي



فن القصة والمقامة

للدكتور جميل سلطان – ٥٦ صفحة – دمشق – مطبعة الترقي ١٩٤٣

ألفنا دراسة الادب العربي في شخصيات اعلامه ، ففي الجاهلية امرؤ القيس وزهير وطرفة وعنترة ، وبعد الاسلام فلان وفلان . . . ثم ندرس كل شاعر على حدة ، حياته وآثاره . ولعل في هذا النوع من الدراسة شيئاً من الغبن للادب ، حين نفهمه مشوهاً ، وللقارىء ، عندما يضيع وقته في تفاصيل تافهة من حياة عشرات الشعراء والكتاب . . .

والمدارس الادبية لا تعيش في شخص واحد حياة كاملة ، فهي قد تكون في عصر واحد لدى افراد كثيرين ، وقد تكون في عصور مختلفة متباعدة . . . وربما يولد المذهب الفكري في الجاهلية ، مثلاً ، ثم ينمو لدى شاعر اسلامي . ثم يتطور عند عباسي ، ويختنق ويموت مع شاعر اندلسي . ومن أجل هذا كانت دراسة الادب العربي لطلاب المعاهد الثانوية على اساس الموضوعات والمعاني خلال عصور الادب العربي كما اجدى واكمل . . . اما ان نتناول فلاناً الشاعر فندرسه لهم « كرجل » ثم « كشاعر » ونتركه بعد ذلك مسرعين الى غيره لنتناوله على هذا النحو ، فهي طريقة قاصرة . . . نفهم فيها الشاعر منفصلاً عن غيره ولا نفهم فيها الموضوع ، والشاعر جزء منه .

وقد احسن الدكتور جميل سلطان في كتابه « فن القصة والمقامة » عندما سلك سبيل « الموضوع » فدرس « المقامة » منذ ان تكونت ، وسار معها تتطور وتنمو وتمتاز بخصائص وتغيب فيها خصائص ، الى ان احتاز بها كل من ألف فيها في عصور مختلفة وبيئات متباينة .

وصدر كتابه ببحث عن القصة وتطورها التاريخي فاظهر انها اقدم الانواع الادبية واكثرها ذيوعاً وقد تدرجت في احوال شتى حتى انجلى القرن التاسع عشر عن شروط واضحة واسس ضرورية للقصة الفنية ، فكان من هذه الشروط البساطة والواقعية والحيوية والتحليل النفسي ، وحاول ان يطبق هذه الشروط على قصصنا العربي القديم فرأى انه يحتوي من هذه الشروط على قسط وافر ، في القصص العربي البساطة والواقعية والحيوية ، واذن « فالقصة العربية – على رأي المؤلف – تتفق والقصة الحديثة في الشروط والاداء » .

ولعل هذا غلو منا في فهم القصة العربية ، وتساهل في بعض الشروط ، ففرق بين ان يكون في بعض القطع الادبية او التاريخية نفَس قصصي ، وبين ان تكون قصصاً خالصاً له شروطه الفنية ومميزاته .

وقد اجهد المؤلف نفسه حين صور ان التطور « القصصي » منذ الجاهلية الى القرن الرابع يؤدي الى « المقامة » على النحو الذي ذكره من اقاصيص الزهاد في المساجد الى قصص الجاحظ الى المقامة . ذلك لان المقامة ليست قصة وان كان قالبها قصصياً ، فهي خالية من اهم مميزات القصة ، خالية من « الحادثة » وخالية من شخصيات روائية قوية .

وينبغي ان نلاحظ ايضاً ان تطور المقامة لم يكن اول درجاته القصص – كما حدثنا المؤلف – لان تطور القصص استمر مع نشوء المقامة جنباً الى جنب .

وفي فصل « فن المقامة » عرّف الدكتور سلطان فن المقامة وتحدر هذا المعنى من الجاهلية الى القرن الرابع الهجري ، ورأى ان المقامة قد تطورت من معناها الجاهلي الاول بمعنى « الندي أو المجلس » الى ان اصبحت تعني زمن الراشدين والامويين وصدر العباسيين « اسماً للمجالس والمجتمع يستمع فيه الخليفة الى الزهاد الصالحين ثم توسع معناها من نصائح الزهاد ومواعظ الفقهاء حتى « شملت القصة الطريفة يتحدث بها الراوية وينوع فيها المقال فيشحنه بالشعر والمثل والموعظة الحسنة ويتكلم عن الحرب ومشاهدها » . ثم صارت « خطباً ومواعظ وكلاماً مختاراً تجري به ألسنة المتكففين السائلين ، يملأون به الاسواق والمساجد والمجتمعات » .

وعلى هذا النحو تلقاها بديع الزمان الهمذاني ، واخرجها في قالب آخر ، هو القالب الذي لا تزال نعرفه الى الان للمقامة .

واذا صح ان كلمة « مقامات » تنطبق على هذه المجموعة من الالوان التي تضم الزهد والمواعظ ثم الحديث عن الحروب ، ثم وصف احوال السائلين المكدين ، فاني لا ارى ان هذا التدرج هو الذي سلكته المقامة التي عرفناها عند بديع الزمان والتي ميزتها وجود الراوية ، والبطل او المكدي ، هذا الشخص الخيالي ، الشاعر الخطيب الذي يبدو انه تاعس بائس متشرد

فالوضع الطبيعي لمعرفة نواة المقامات في التاريخ الادبي هو ان نرجع الى الجاهلية بهذه الميزات ، وعندئذ نلتقي جماعة من الشعراء تربطهم صفات التشرد والصعلكة ، كما جمعت ابطال المقامات صفات الكدية والسؤال ، ويرافقهم بعض الخوارق واتيان العجائب والمغامرات ، كما يتصف ابطال المقامات بذلك ، ويشتركون جميعاً بان عنصر الخيال يمس في شخصيات الفريقين حتى نضطر الى ان ننكر وجود شخصيات منهم ، او ان ننكر صفاتهم هذه على الاقل .

وهؤلاء الشعراء الجاهليون ، الذين يسمون « بالصعاليك » هم جماعة من فقراء القبائل خرجوا على قوانين قبائلهم واجتمعوا ليغيروا وينهبوا ، ويتعاونوا فيما بينهم . ففيهم شيء من التشرد وفيهم شيء من الشجاعة ، وفيهم شيء من التعاون والتواسي ، او التشارك الاجتماعي ، وكذلك فيهم شيء من اللامبالاة في جمهم المال ، فلا يخضعون لقانون متعارف ولا يكترثون للاقامة بين اهلهم اقامة مستقرة .

فهم – كما نرى – ليسوا لصوصاً كما يتبادر من تسميتهم بالصعاليك بل لبعضهم شعر يدل على عزة النفس وحب الايثار ، والدفاع عن حقوق الفقراء كما كان عروة بن الورد ، او عروة الصعاليك – كما كان يسمى – حين كان يقصد من غاراته انصاف الفقراء من الاغنياء ، واطعام هؤلاء الناس الذين ليس لهم مورد رزق وكان يجمعهم ويقوم بامرهم ويقول :

اني امرؤ عافي انائي شركة   وانت امرؤ عافي انائك واحد

اتهزأ مني أن سمنتَ وان ترى بجسمي مس الحق والحق جاهد
أفرق جسمي في جسوم كثيرة وأحسوا قراح الماء والماء بارد

فيوضح عروة العاليك مذهبه في الحياة ، ويبين قصده من الغزو ، فهو ان غزا فمن اجل هؤلاء الفقراء ، وفي سبيل تقديم الطعام والغنائم لهم .

وليس عروة وحده في هذه الصفات بل يشترك معه اكثر الصعاليك ومنهم الشنفرى ، ومنهم تأبط شراً ، وهو الذي يقول بعدم اكتراث بالمال واضح :

عاذلتي ان بعض اللوم معنفة وهل متاع ، وان ابقيته، باق
لتقرعن عليّ السن من نـدم اذا تذكرت يوماً بعض اخلاقي

فاذا انتقلنا بعد ذلك الى ابى الفتح الاسكندري، بطل مقامات الهمذاني فسنجده يمثل مجموعة من الادباء المتشردين الذين كانوا على حظ وافر من معرفة اللغة والادب وقوة الحيلة وحدة الذهن والتقلب حسب الظروف ، ولا يتردد ان يجمع المتناقضات في نفسه ، ولا يبالي بغير مايريد . . .

وكذلك بطل مقامات الحريري المسمى « ابو زيد السروجي » فهو رجل شريد مغامر ، له احوال مختلفة، فتارة خليع ، محتال ، يسأل بوقاحة وتارة زاهد متقشف ، يستحي من التكفف . . .

ثم اذا لاحظنا بعد ذلك ان ابا بكر بن دريد (٢٢٣ – ٣٢١ هـ) – ويقال ان الهمزاني حذا حذوه في انشائه المقامات – قد نقل بعض اخبار هؤلاء الشعراء الصعاليك ومغامراتهم ومقابلات بعضهم للوحوش الكاسرة ، وتحدثه عما يعترضهم في البوادي ، وكل ذلك في لغة حوشية ولفظ غريب ، تبين لنا انه لا بد ان يكون ثمت صلة بين صعلكة الجاهليين ، وشعرهم من اغرب الشعر واصعبه لانهم بعيدون عن مواطن المدن والتحضر ، وبين صعلكة المكدين الذين يمثلون دور البطولة في المقامات ، وفي المقامات النثر المتكلف المملوء بالالفاظ التي فرضت فرضاً على المعنى . . .

وتحدث المؤلف عن خصائص المقامات فبين انها ترمي الى شوارد اللغة وتدور حول بطل للقصة وراوية ، ونادرة او طرفة ، ولعل من اهم خصائص المقامة التي لم يذكرها المؤلف ، هي هذه الوحدة المكانية الضيقة التي تتقيد المقامة فيها نفسها ، فلا تدور حوادثها الا في مجلس واحد لا تكاد تتعداه . .

وانتقل الى فصل آخر حرص فيه على جمع بعض خصائص « عيسى بن هشام » راوية الهمذاني في مقاماته فبين لنا وجوهاً من هذه الشخصية ، وكثيراً ما تكون هذه الوجوه مختلفة متناقضة ، ذلك لان شخصية الراوية – وان سميت باسم واحد – متعددة فهي في مقامة غيرها في المقامة الاخرى ، وعندئذ يزول العجب من نفس المؤلف عندما يرى بعض المبالغات الزمانية التي تصور هذا الراوية يحضر مجلس سيف الدولة في حلب ، مع انه في مقامة اخرى قد ادرك ذا الرمة الشاعر الاموي . . . ومن يدري ، لعل الهمذاني اقتبس اسم « عيسى بن هشام » راوية مقاماته من اسمي روائيين كبيرين هما عيسى بن دأب وهشام الكلبي ، وهما مؤلفا اكبر مجموعة من قصص الغزلين واخبار الشجعان في الحروب ، وهما اللذان رويا قصص مجنون ليلى وجميل بثينه وقيس لبنى ، وليس هذا ببعيد اذا عرفنا ان الحريري اخذ اسم راويته « الحارث بن هشام » من الحديث الشريف « كلكم حارث وكلكم همام » اي كلكم كاسب ساع في الرزق ، وكلكم كثير الاهتمام بالامور .

وذكر الدكتور سلطان غايات البديع فحصر اظهرها حصراً موفقاً، سواء كانت تلك الغايات دينية مذهبية او اجتماعية او ادبية . وعرض في فصل تالٍ لبعض الذين ألفوا مقامات على نمط الهمذاني ، الى ان وصل الى الحريري فافاض في الحديث عنه في عدة فصول ، وحاول فيها ما حاوله مع الهمذاني ، فقد جمع « الخصائص » واطلقها على شخصية « الحارث بن همام » راوية مقامات الحريري ، ولكنها ليست شخصية واحدة ، وانما هي مجموعة من الشخصيات اتخذت لها اسما واحداً ، فالحارث بن همام في مقامة ليس الحارث بن همام نفسه في المقامات الاخرى ، وهو في المقامتين الدمشقية والدمياطية رجل ذو مال وخيل و « صاحب مطارف الثراء » بينا يبدو في المقامة « الصنعانية » فقيراً « تطوح به طوائح الزمن خاوي الوفاض بادي الانقاض » . وهكذا في كثير من الصفات الاخرى التي تتباين تبايناً واسعاً في كل مقامة .

وختم المؤلف كتابه بعرض جامع للذين ألفوا مقامات بعد الحريري، وتحدث حديثاً عابراً عن المقامات عند غير العرب . وتم بذلك احاطته بموضوعه احاطة دقيقة شاملة، معروضة على اساس من البحث العلمي المنظم .

بهيج عثمان

من امالي الوحدة

للاستاذ علي الزين – ٢٤٨ صفحة – مطبعة العرفان صيدا

في هذه الفترة من حياة العالم الصاخبة الضاجة ، يخرج الاستاذ علي الزين كتابه هذا ناشراً أمالي وحدته ، التي يظهر أنها صاخبة ضاجة ايضاً . فهو وان شاء أن يعطيها هذا الاسم فليس لها معنى الوحدة وهدوءها ، وان تكن لها جرأتها وصراحتها .

مضامين الكتاب : تجاوزنا كلمة « موضوع » الى كلمة مضامين ، لان الكتاب لا يجمع بين بحوثه ظرف واحد في الفكر . وانما هي بحوث ترجع الى ازمان متباعدة ، وفوق هذا ترجع الى حالات متنائية من حالات تطوره الذي هو سيل مستمر من التجدد والصيرورة ككل كائن . ولكن يظهر مع ذلك انه راض عنها ، مطمئن الى اشيائها ، ولذا راح ينظمها في نسق ويضمها في كتاب .

وعلى كل فالكتاب يدور في اكبر أقسامه على النقد للادب في ناحية عزيزة من هذا الوطن ، وهو جبل عامل او جبال عاملة على حد تعبير المؤلف ص ٩ .

يبدأ الكاتب فيقسم الادب العاملي الى ادوار ثلاثة ويفرض قاعدة لهذا التقسيم حملة الجزار سنة ١١٩٥ هـ ، ثم يمضي في درس كل دور ومميزاته والخصائص الادبية في مجموعة هذا الانتاج الادبي المتطور من ص ١٥–٥٩

وهي دراسة طريفة تجمع الى احسان العرض جدة الموضوع ، رغم ما وقع فيه المؤلف من اخطاء . وهذه الاخطاء الشائعة في طائفة من نتائجه تنبع من توهم الكاتب ان المقاييس النقدية هي مقاييس نهائية . ولذا يذهب في تطبيقها تطبيقاً آلياً بحتاً ، ولذا هو يخطئ أحياناً ، ولذا هو يهيم في الخطأ أيضاً ، شأن كثير من النقاد الذين استسلموا هذا الاستسلام المطلق الى المقاييس . بينما جوهر النفس الذي هو ينبوع الآداب وكل عمل فني والذي هو في تكيف مستمر ، يطعن كل نظرية تقول بالتحديد وتقوم على المقاييس النهائية الثابتة . اذن يجب – اذا تناولنا آثار الانتاج الادبي في العصور – أن نحدد تكيفات الاحياء فيها اولا التي يشتق منها المثل الاعلى للعصر في

الادب والفكر والحياة ، ثم تنقد تلك الآثار على ضوئها ، فان المقاييس الفنية تتكيف تكيف الكائن الحي نفسه في كل مايلابسه ويتصل به من فكر وحياة واجتماع .

ولسنا نعني بهذا ان النظرة النقدية ينبغي ان تتحلل من المقاييس وتخلو منها ، بل نعني ان مقاييسها ليست بدرجة واحدة من الاعتبار ، وانما هي تقع في مثل دوائر دواخل في بعضها ، فما كان ينبغي ان يقاس بدائرة صغرى لا يتفق او لا يصح ابداً ان يقاس بدائرة اوسع منها .

وهذا يظهرنا على انه ما كان للمؤلف - وهو يلح باعتماد مقاييس نقدية اعتماداً فيه آلية - الا ان تقع في نتائجه واحكامه جملة مجاوزات . خذه حينما يتداول في ص ٧٦ قصيدة الشيخ عبد الحسين صادق في وصف الفُلك، تر كيف يأخذه أخذاً عنيفاً في انه لم يقل من شيء في وصف الفلك وانقال كل شيء في وصف الناقه .

ونحن من جانبنا نلمس طرف التحامل في حكمه ، وذلك عندما نترل على طريقته فنضع كلمة في مقام كلمة سواها ولا نجد صدق ما قال ، ونكتفي بهذا البيت منها :

فهي أرسى اذا رست من ثبير   ليس يُدرى جرت ام الماء جار

يقول المؤلف اننا لا نحس في هذا البيت بسفينة تمخر العباب، بل بناقة تطوي الصحراء وتخب في الرمال . وليقطع كل ريب في صدق ما يقول يشير علينا بان نضع في محل كلمة « ماء » كلمة « نقع » ، ونحن بعد الاقتناع بطريقته ومحاولة تجربته نجد انفسنا مع ذلك حيال سفينة لا ناقه . فان الصورة التي وطألها الشاعر بكلمة أرسى وهي تفيد عدا عظم الحجم شدة الاستقرار ، لا تستقيم في الناقة ابداً ولذا ناسب عند اللغوي في التعبير عن وقوف السفينة بازاء الشاطىء من مادة رسا دون الناقة . اما المؤلف فقد أتي في نظرنا من احد امرين ، اما انه مر على القصيدة مراً سريعاً ، واما انه قليل التحقق من دلالة الالفاظ لغوياً وسير الاسلوب بيانياً .

على ان الطريقة المذكورة اي وضع كلمة في مقام اخرى من اساسها فاسدة،فاننا حينما نعرف ان المشاعر كثيراً ما تتشابك وتتداخل و كثيراً ما تتشابه فهي في السرور مثلها في الحزن ، ندرك اننا باعتماد هذه الطريقة نستطيع تحويل كل الملاهي (كوميدي) الى مآسي وفواجع (تراجيدي)

والمؤلف وان يكن قد اجحف في احكامه خصوصاً على ادباء الدور الثاني فقد انصفهم ايضاً فيما كان لهم من اسلوب مشرق ، دقيق الاداء ناصع الديباجة ص ٣٥ .

ونعثر عند المؤلف ايضاً على خطأ آخر لا نحمده من ناقد مثله ، فهو يضع في كل دور اشخاصاً لا مبرر لعدهم الا انهم وجدوا فيه ، ثم يفرض عليهم البقاء في حدوده ابداً وان امتد بهم الزمن وشملهم بتطويره وبلور فيهم حاسة الفن وابتعثهم ابتعاثاً جديداً . فهل يكفي ان لا نعد الاخطل الصغير شاعراً كبيراً في الربع الثاني من القرن العشرين لانه كان شاعراً كبيراً في الربع الاول من هذا القرن ، ان حاسة الفن لا تعرف الزمن وان كانت تستفيد منه .

يعمد المؤلف في ص ٢٦ الى عد الاستاذ الحوماني الشاعر الخصب في جملة من حفل بهم الدور الثاني الذي دعاه دور التطور والانتقال ، لا لشيء الا انه ادرك هذا الدور ، ثم يعود فيدفعه بعنف ويحول بينه وبين دور التجديد وان يكن من اخصب المنتجين فيه على الوانه . كما نلاحظ ايضاً كثيراً من الاسراف في الحكم على ادبه خاصة الى درجة يخرج معها عن النقد الى التحدي ص ٢٨ — ٣١ . وهذا ما ليس ينبغي له ويحسن به كناقد يلتزم الاخلاص للمثل الادبية والحقيقة الفنية على حد ما يقول في ص ٩ .

وما هذا الشيء الذي يأخذ به الحوماني ؟ . يقول (ان الشيء الذي اصبح موضعاً للتساؤل ، هو هذا الغزل الصوفي الذي انتهى اليه فن الحوماني في « حواء » . فانه على ما فيه من جزالة وعذوبة لفظ لا يشعرك بشيء سوى الشهوة العابثة ، اما ان يشعرك بهذه العاطفة الوجدانية الملتهبه ، كما يشعرك صادق الشعر الوجداني ، فهذا ما لا يكاد يظفر به القارىء لذلك الديوان الجديد . ويسوق مثلا مقطوعة « صوفية الحب » :

كلما ادنيت منها جسدي   لصقت بي وتلظت شفتاها
فكأن الجمر احمى دمها   فذوت عينين واحمرت شفاها
وكأن الافق لما قبلت   فجره شمس الضحى قبل فاها
سألتني : ما ترى ؟ قلت : فماً   حققت عيني به اسمى رؤاها
وشفاهاً يترضبن دمي   ويلوِّن المنى حتى اراها
وهوى يصعد بي حتى أرى   ملء عيني مع الله الها
تخفق الارواح في هيكله   ويعفرن حواليك الجباها

فهل يطربك منها غير هذه الرنة الموسيقية وغير هذه المغازلة المسرحية)

في الحق ان الذي يطرب في هذه المقطوعة غير ما ذهب يذكر من قريب او من بعد رغم انا ننكر عليه اخذه الحوماني بقطعة واحدة من شعره الخصب ، اننا نشعر في جنب هذه القطعة بما يستهوينا حقيقة ، وبما يستخفنا في غير مبالغة او ملق . أليست تعرض امامنا مشهداً شعرياً حياً وبالاحرى مشهداً منتزعاً من صميم الحياة العضويه الانسانية ، بدأت فيه العاطفة بالمادة وذهبت تتخطاها طالبة السمو ، حتى ألقى بها التجنيح في هدأة صوفية واغفاءة تجريد واطلاق . ان شاعرنا الحوماني لم يوفق الى اعطائنا غزلا صوفيا فقط ، بل وفق ايضاً الى اعطائنا صورة من انتقالات العاطفة في مذهب سموها ومدى مثاليتها .

أليس يضع امامنا عاطفة تضطرم في جسدين بالغت فيهما باثرها الى درجة الاشتعال ، فتتعرض حينئذ لانسياب شعور جديد فيها يملأ جو هذه العاطفة بالرؤى ، التي تزداد للعاشق تعرضاً وتجسما ، فاذا به يحسها قريبة حتى لتخالطه ، واذا بناظره يحققها متجسدة حتى ليشده رانياً ، والهوى يعلو ويصعد به ايضاً فاذا ملء عينيه اطلاق تخفق في هيكله الروح .

أليس في هذا الادب حياة ؟. أليس فيه فكر ؟. أليس فيه تجديد؟. ان صح ان هذا ادب ألفاظ ، فلسنا نعرف ادب المعنى كيف يكون . ويظهر ان المؤلف بعد عرضه لنقد الادب العاملي ، شاء ان يعرف بمقاييس النقد الذي انتهجه فخصها بفصل جيد التفكير حسن العرض ص ٦ . ويتبعه بفصل العواطف المصطنعة وفصل الشعر بين التجديد و التقليد وفصول اخرى جيدة بمجموعها فيها جمال وتأنق ثم ينهي الكتاب بطائفة من شعره. اسلوبه : مهما كان لنا من رأي يتفق او يختلف مع المؤلف في نظراته وخواطره التي اتسع كتابه لها ، فلا يسعنا الا الاعجاب باسلوبه الناصع الديباجة المشرق الرصف ، وهو الى ذلك فصيح في غير تصنع ، محكم في غير تعقيد ، واضح البيان في غير اسفاف ، وفي جملته اسلوب يجمع عليه الرصانة والوضوح ، ويضعه بين ناثرين قليلين في هذا البلد .

ع . العلايلي

روابط الفكر والروح

بين العرب والفرنجة – ١٣٦ صفحة ـ مطبعة –الكشاف

. . . من الجرأة ان يتصدى اليوم اديب عربي ليبحث على ضوء هذه الحقبة المضطربة روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة ، ذلك ان التماس الفكري الموزع بين تراث وتراث كان حتى اليوم موضوعاً يعوزه الشمول والتبصر ، وما ينبغي فيه اصدار حكم مبرم او رأي قاطع ، لكثرة الحلقات المفقودة في سلسلة الفكر البشري ، والذي بقي لنا اليوم ضعيف الاسانيد ، لذلك آثر الاديب الموفق الاستاذ الياس ابو شبكة ان يهضم في اعماقه ما قرأ ويقرأ ، وان يسجل في دخيلته ما انعقد عنده من صلات بين امة وأمة وعالم وعالم ، جانحاً الى ما تأخر من العصور لتوفر الادلة المكتوبة ، كل ذلك باسلوب الاديب الفاهم والقارىء العميق الهاضم .

روابط الفكر والروح ، رحلة سريعة موفقة المصير ، بل قل رحلة خاطفة ، تبدأ بفرنسا ، وفي هذا الفصل « فرنسا الادبية » يبدو حماس ابو شبكه وايمانه بالدور العظيم الذي مثلته فرنسا على مسرح الفكر ، وكيف تأثرت اداب الامم الاوربية والاميركية والعربية بنور الشعلة التي اضرمها عباقرة الادب الفرنسي ويعكف في اناة على الاتصال الاول بين العرب والفرنجة ، كأديب حق لا كمؤرخ ، وكم احببت قوله : « قلت ان زوال الحضارة العربية كان شؤماً على اسبانيا واوروبا ، فالاندلس لم تعرف السعادة الا في ظل الامراء العرب ، وحالما ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب ، ذلك ان الملوك المسيحيين الذين خلفوا ملوك العرب كانوا على جانب كبير من المهارة السياسية ، ولكنهم لم يضارعوا مهارة العرب في الادارة والتنظيم » ويعلق على قوله هذا محللاً الدور الهام الذي لعبته اسبانيا في اوروبا من الناحية الفكرية ابان الحكم العربي ، وفي « منابع الثقافة الفرنسية » عرض جميل لمختلف الاشخاص والتيارات التي اغدقت المعرفة على العالم ، وكيف بدأ الاتصال المباشر بين الفرنسيين والبلاد العربية منذ احتلال جيش نابليون لمصر .

وفي « تأثر الشرقيين بمبادىء الثورة » غوص على التاريخ ، وكيف اثرت الثورة في ايقاظ الروح الشرقية الرازحة النائمة ، وما كان لهذه اليقظة من اثر فعال في وثبة الفكر العربي من الركود الى الحركة ، وعندما تحدث في « ينقلون ما هب ودب » عن حمى الترجمة والنقل ، في مستهل القرن العشرين ، صور العقلية العربية التي اطلت على الروائع الفرنسية ، محللاً لطرائق طانيوس عبده ومصطفى لطفي المنفلوطي وفرح انطون في مسرحياته ، وتكلم كذلك عن محاولات نقل الشعر من الفرنسية الى العربية ، بينما كانت طلائع المهجر تتمخض بادب حق وخيال منسرح .

اما فصله الاخير « الغموض دخيل على الادبين » فهو ولا ريب موضوع جدل كثير ، اترك بحثه لفرصة مؤاتية قريبة ، لانه يتضمن هو وبحثه الآخر « الادب العربي في نهضته المباركة » اراء جد شخصية تصدر عن اديب له لونه الخاص واتجاهه المعلم وطريقته الصارخة . هذه كلمة خاطفة في كتاب جدير بالقراءة والبحث والتعمق والنقد وحسبه فضلاً ان يجد سبيله الى القارىء رغم عقبات الحرب ، مؤكداً يقظة الفكر العربي ، وتلفته الدائم نحو الحركة .

صلاح الاسير

دليل الصحافة اللبنانية

لنقابة محرري الصحافة اللبنانية – ٩٦ صفحة – بيروت

لا تزال نقابة محرري الصحافة اللبنانية بهمة نقيبها الزميل الاستاذ روبير ابيلا ، دائبة على كل مفيد من الاعمال التي تمت الى الصحافة والى الحياة الفكرية في البلاد باكثر من سبب ، وقد عودتنا النقابة ، الى جانب الحفلات الموفقة الشائقة التي تقيمها في غضون كل سنة نقابية ، ان تتحفنا بين الحين والآخر ، بكتاب من « منشوراتها النقابية » ، مما سبق لنا فالمحنا اليه في حينه .

وآخر ما وصل الينا « دليل الصحافة اللبنانية » ، « بعض اعمال نقابية وصحافية » وهو كتاب رائع حقاً ، اردفه المؤلف بملحق يلخص ما يهم ارباب التحرير والصحافة في لبنان والاقطار العربية الاطلاع عليه ، من مثل اسماء الصحف السياسية الصادرة في لبنان حتى تاريخه ، يومية واسبوعية وشهرية ودورية عربية وفرنسية وانكليزية وارمنية ، في بيروت والملحقات مع اسماء اصحابها وتاريخ تأسيسها وارقام تليفوناتها ، ثم اسماء محرري الصحافة اللبنانية والصحف التي يعملون فيها بموجب جدول نقابتهم المجمعية العمومية ، فنبذة عن اركان جمعية الصحافة الخارجية ، وجمعية ارباب الصحف الدورية ، وكذلك اركان مصالح المطبوعات في لبنان ، من لبنانية وفرنسية وبريطانية واميركية مع ما يلحق بها من دوائر اذاعة ودعاية وانباء وتصوير وسينما ، وملحق بجدول بالصحف العربية السياسية اليومية الصادرة في سوريا وفلسطين ، واخيراً مقابلة بين التاريخ الميلادي والتاريخ الهجري لسنة ١٩٤٣ م – ١٣٦٢ هـ . .

ويفتح الكتاب على صورة كاريكاتورية رائعة تمثل بشكل طريف رسم بعض اعضاء اقلام المطبوعات في مواقف مناسبة .

ويتضمن الكتاب بياناً عن اللجنة التحضيرية للنقابة ، ونبذة عن جهود النقابة ومساعيها ، والمذكرات الهامة التي وضعتها دفاعاً عن حقوق المحررين والحفلات الصحفية التي اقامتها ، مما لا تخفى فائدته الكبرى على كل ذي علاقة . وكل ذلك مزين بالرسوم الكثيرة على ورق مصقول ناصع البياض متقن الطبع :

اننا نهنىء الزميل النقيب بهذا المجهود المتواصل ونأمل لنقابة محرري الصحافة اللبنانية اطراد النشاط والنجاح .

«توابت» في فن التجميل العصري

للاستاذ محمود الراوي – ١٣٠ صفحة – المطبعة الحديثة – طنطا

عني الاستاذ محمود الراوي بناحية التجميل الطبيعي فوضع كتاباً طريفاً في الجمال والتجميل ، وهو اول كتاب من نوعه في العربية ، وقد اعتمد مؤلفه على دراسة ابرع الاخصائيين الاوربيين ، واضاف الى ذلك كثيراً من ابحاثه وتجاربه الشخصية ، وكثيراً من معلوماته التي درسها عن الصالونات التي تعالج فن التجميل ، واهمل كل ما يخالف النظريات العلمية والطبية الحديثة • حتى جاء الكتاب خير دليل تعتمد عليه من

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

لندن ١ نوار – صدر بلاغ اذاعه الراديو الالماني جاءفيه : « ان هتلر استقبل لافال في قصر قيادته . لندن – كتب مراسل روتر في ميدان تونس يقول : ان القوات الفرنسية في المنطقة الساحلية على طول البحر المتوسط تستطيع الآن ان ترى بحيرة ومدينة بنزرت الواقعة على اقل من ٢٠ ميلا .

موسكو – اذاع الرفيق ستالين رسالة لمناسبة اول نوار هنأ فيها الشعب والجيش الاحمر واشار الى الخسائر الهائلة التي انزلت بالجيش الالماني في اثناء حملة شتاء ٩٤٢ – ١٩٤٣ ، وتحدثا عن هزيمة المحور من لوبيا وطرابلس ثم قال : ان الالمان يتوقون لابرام صلح مع بريطانيا والولايات المتحدة بشرط ان تتخلى هاتان الدولتان عن روسيا السوفياتية ، او هم يتوقون من ناحية اخرى لان يعقدوا صلحاً مع روسيا على ان تتخلى عن بريطانيا والولايات المتحدة. والواقع ان انصار الاستعمار الالماني يحكمون على الحلفاء بالمقاييس الالمانية على امل ان دولة من دول الحلفاء على الاقل قد تقع في الشرك . ثم تحدث الرفيق ستالين عن واجب الحلفاء والروس لكي يهزموا العدو هزيمة نهائية فيمهدوا الطريق له لكي يستسلم بلا قيد ولا شرط .

بيروت – وصل الى بيروت المستر كيزي وزير الدولة البريطاني في الشرق الاوسط وزار برفقة الجنرال سبيرس الوزير المفوض البريطاني في سوريا ولبنان مكتب الاحصاء والتموين حيث قابل القائمين بشؤونه ، كما اجتمع بوكيل وزارة التموين اللبنانية .

بيروت ٢ – اقام الجنرال سبيرس حفلة استقبال في دمشق وابدى سروره بان يكون اول وزير مفوض بريطاني يتخذ دمشق مقراً له وان تكون لبريطانيا العظمى في دمشق مفوضية سياسية ترمز رمزاً عملياً الى الاعتراف باستقلال سوريا ، ثم اعرب عن تمنياته في ان يكون لسوريا وفد رسمي في مؤتمر الصلح بعد الحرب ينبثق عن حكومة شرعية ديمقراطية وليدة انتخابات حرة الى اقصى حدود الحرية .

لندن ٣ – فقد المحور في الاسبوع الفائت ٩٨ طائرة كما فقد في شهر نيسان ٨٧٣ طائرة . وقد فقدت ٦٣٣ فوق افريقيا الشمالية و٣٠٠ فوق الشرق الاوسط . اما الخسائر الحليفة فقد كانت في الاسبوع الماضي ١٢١ طائرة وفي شهر نيسان ٥٦٦ طائرة وبلغت الخسائر فوق افريقيا ١٩٥ طائرة . لندن – اعلن راديو الجه ان جيرو سيعلن عفواً مستعجلا وشاملا عن جميع المعتقلين السياسيين وفقاً لقراراته ونداءاته الاخيرة .

لندن ٤ – ابلغ المقر الحليف العام في افريقيا الشمالية ان القوات الاميركية احتلت ماطور صباح امس .

موسكو ٥ – احتلت القوات السوفياتية كرتيسكايا التي تبعد ٣٠ كيلومتراً عن نوفوروسيسك الى الشمال . وقد جاء من برلين ان الـ « د.ن.ب. » اعلنت هذه الليلة جلاء القوات الالمانية عن كرتيسكايا . نيويورك – اعلن راديو نيويورك ان المدفعية الحليفة الضخمة تضرب بعنف فرفيل وبنزرت في الميدان التونسي . لندن – صرح المعلق الاميركي في راديو الجه هذا الصباح قائلا : لقد انهارت الجبهة الشمالية لرقبة الجسر المحوري في تونس . مونريال – ابلغ رسمياً انه قد ضرب رقم قياسي جديد في قطع المسافة بين تارنيف وانكلترا وذلك في مدة ستة ساعات و١٢ دقيقة . لندن – قتل الجنرال فرنك مكسويل اندروز الذي يقود القوات الاميركية في ميدان العمليات الاوربي ، في حادث طائرة في ايسلندا .

بيروت ٦ – احتفلت بيروت حكومة وشعباً بعيد الشهداء الابرار ، وككل سنة في مثل هذه الذكرى غصت ساحة الشهداء بالجماهير الوافدة من العاصمة ومن كل انحاء الجبل ، وعند الساعة التاسعة والنصف قدم الساحة حضرات رئيس الدولة اللبنانية الدكتور ايوب تابت والوزيرين الامير خالد شهاب وجواد بولس يسير وراءهم موكب من موظفي الحكومة ، وعند وصول رئيس الدولة امام النصب التذكاري وضع اكليلا من الزهر ، وقد خطب الامير خالد شهاب باسم الحكومة والاستاذ جورج عقل باسم عصبة تكريم الشهداء . ومهد الاستاذ فاضل سعيد عقل بنبذة عن حياة الشهداء ، ثم توجه الموكب الى اجداث الشهداء في رمل بيروت حيث ادوا واجب التكريم .

موسكو – احتل الجيش الاحمر ١٢ موقعاً هاماً في الكوبان ودخل ضواحي نوفوروسيسك . نيويورك – ادلى الرفيق ستالين بتصريح لجريدة نيويورك تيمس تحدث فيه عن العلاقات البولونية الروسية قائلا : ان الاتحاد السوفياتي يرغب في ان تقوم بعد الحرب دولة بولونية قوية ومستقلة ، فعلق الجنرال سيكورسكي موافقاً على عقد تحالف بولوني–روسي ضد المانيا .

لندن ٧ – احتل الحلفاء في تونس جبل شنيتي وجبل العقل وجبل بوعوكز وبرج الفرنج ومدينة ماسيكو . وشن الجيش البريطاني هجوماً كبيراً فخرق خطوط العدو . وانهارت الجبهة الالمانية في تونس الشمالية . الجه – صرح الجنرال جيرو لمندوب الوكالة الفرنسية المستقلة بان مقاومة الجيوش المحورية في تونس لن تطول الى ما بعد اوائل شهر حزيران . وامتدح الجيش الفرنسي الذي سيكون مؤلفاً من نصف مليون رجل في نهاية هذه السنة ، وابدى اعجابه بالجيش الثامن وامتدح كذلك الجيش الاول والقوات الاميركية ، وقال ان المحادثات ما تزال مستمرة بينه وبين الجنرال كاترو ، ونوه بدور اميركا وفرنسا في اعادة بناء اوربا بعد الحرب .

لندن ٨ – احتل الجيش البريطاني الاول بقيادة الجنرال اندرسون تونس العاصمة عقب معارك عنيفة في الشوارع بعد مرور ٣٦ ساعة على بدء الهجوم الحليف الكبير و٦ اشهر تماماً بعد نزول الحلفاء الى افريقيا الشمالية في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٢ . اما القوات الاميركية التي كانت قد احتلت فريفيل في الساعة الواحدة بعد الظهر فقد عادت فدخلت الى قاعدة بنزرت البحرية بعد ساعة من الزمن .

لندن ١٠ – يستعمل الجيش الاميركي في غاراته الجوية على اوربا نوعاً جديداً من الطائرات تبلغ سرعتها ٤٠٠ ميل في الساعة وهي مجهزة بثمانية مدافع رشاشة ويطلق المدفع الواحد منها ٦٤٠٠ رصاصة في الدقيقة . لندن – بلغ عدد القواد الالمان الذين اسروا في تونس ستة . لندن ١١ – بلغ عدد الاسرى المحوريين بعد تونس وبنزرت ثمانين الفاً . ستوكهولم – احتل الجيش الاحمر بهجوم جديد جنوبي غربي فليكي لوكي على بعد ١٣٣ كيلومتراً عن حدود

ليتوانيا . وقد تغلغل الروس بعمق في المراكز الامامية واحتلوا تحصينات كان الالمان قد صرفوا ستة أشهر في بنائها .

لندن – عقبت انباء الانتصارات الحليفة في تونس موجة من الاعتقالات في البلقان من ذلك الفا شيوعي مزعوم اوقفوا في بلغاريا وكذلك في اليونان حيث قطعت المواصلات مع الخارج .

نيويورك – توقفت المعارك في جميع انحاء تونس ما عدا جوار رأس بون . عمان – ألف توفيق باشا ابو الهدى وزارته الجديدة في شرق الاردن .

القاهرة – ادلى النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية بتصريح الى مراسل رويتر الخاص اعلن فيه اعجابه بالجيوش الحليفة بمناسبة انتصارات تونس الاخيرة.

بيروت – اذاع الدكتور ايوب تابت رئيس الحكومة اللبنانية كلمة من راديو الشرق حيا فيها الجيوش الحليفة التي تحارب لتمهد للعالم ان يعيش بحرية وسلام .

واشنطون ١٢ – وصل بحراً الرئيس تشرشل الى واشنطن يرافقه الجنرال ويفل والسير ألن بروك والسير دودني باوند والمرشال بورتال والاميرال سومرفيل والسير ريشار بيرس وقد بدأت محادثاته مع الرئيس روزفلت بينما كان الزعماء العسكريون يعقدون اجتماعاً آخر . ووصل ايضاً الدكتور بنيش رئيس حكومة تشيكوسلوفاكيا وحل ضيفاً على البيت الابيض .

لندن ١٣ – انتهت حملة تونس بالقضاء على كل مقاومة محورية في الاراضي الافريقية ، وقد استسلم حتى هذا التاريخ ١٧ قائداً محورياً بينهم الجنرال فون ارنيم القائد الاعلى للقوات المحورية في تونس والمارشال ميسي الايطالي ومارشال آخر وسقط في الاسر ايضاً ١٨٠ الف جندي محوري ، ثلثاهم من الالمان .

القاهرة ١٤ – انتهى في القاهرة مؤتمر الزعماء المدنيين والعسكريين البريطانيين في الشرق الاوسط وقد اشترك فيه ستة قواد اعلين وثلاثة سفراء وثلاثة وزراء وثلاثة حكام ومفوض سام . وقد تم الاتفاق حول جميع القضايا التي عرضت للدرس في هذا المؤتمر .

لندن – القي اكثر من ١٥٠٠ طن من القنابل السريعة الانفجار والمحرقة على مدينة دويسبورغ الالمانية ، والاضرار فادحة .

لندن ١٥ – نحى الجنرال جيرو سيدي المنصف باشا باي تونس عن العرش وذلك لانه عرض سلامة البلاد التونسية للخطر . وقد تم اختيار سيد الامين بك ليخلف الباي السابق على عرش تونس طبقاً لتقاليد أسرة الحسين المالكة في تونس . وقد غادر الباي السابق الارض التونسية الى مدغسكر

لندن ١٦ – دمرت القاذفات البريطانية سدي الخزانين العظيمين على نهري الرهن والاودر بالمانيا . ويحتوي الاول على ١٤٣ طن من المياه والثاني على ٢٠٢ من ملايين الاطنان . وقد وقعت على أثر ذلك كارثة حقيقية اذ طغت المياه كطوفان عرمرم على مجاري النهرين فجرفت كلما كان قائماً في وجهها من مصانع كهربائية ومعامل وغيرها عدا القرى والدساكر . وقد احصي من الضحايا ٤ آلاف ومن الذين اصبحوا بدون مأوى ١٢٠ الفاً . – لندن – اعتقل الالمان ابنة الجنرال جيرو واطفالها واقتادوهم رهائن الى المانيا .

انقره ١٧ – وصل المنسنيور سبلمان رئيس اساقفة نيويورك الى انقره وسيقضي يوماً في ضيافة المستر سيتنهارت سفير اميركا ثم يعود الى سوريا .

واشنطون ١٩ – احتلت القوات الاميركية احتلالا تاماً تقريباً جزيرة آتو بعد مرور اسبوع واحد على نشوب المعارك العنيفة فيها . وسيجعل احتلال آتو احتلالا ناجزاً موقف اليابانيين حرجاً للغاية في جزيرة كيسكا .

روما – القى الطيران البريطاني الملكي المناشير على ايطاليا داعياً السكان الى اعلان الثورة والتظاهر علانية في الشوارع .

لندن ٢٠ – احتلت القوات البحرية الفرنسية جزيرة غاليت التي تبعد نحو عشرين ميلا عن رأس « سيرات » الى الشمال الغربي بين الساحل التونسي وجزيرة صقلية . سنتياغو – قطعت حكومة شيلي علاقاتها الدبلوماسية والقنصلية مع فيشي . موسكو – وصل الى موسكو السيد جوزف دافيس موفد الرئيس روزفلت الخاص حاملا رسالة شخصية من الرئيس الاميركي الى ستالين .

لندن ٢١ – يواصل الجنرال جيرو الغاء قوانين فيشي ليس فقط في الميادين السياسية بل ايضاً في الميدان الاقتصادي عندما لا تكون متلائمة مع المبادىء التي كانت مرعية الاجراء في فرنسا قبل عقد الهدنة .

موسكو ٢٢ – صدر مرسوم من اللجنة التنفيذية الشيوعية الدولية الشيوعية يوصي بحل الشيوعية الدولية واذاعت رئاسة الشيوعية الدولية في موسكو بياناً طويلا بسطت فيه الموقف فقالت ان القرار يستند الى الحقيقة الراهنة وهي ان احوال العالم تبدلت الى حد كبير منذ تأسست هذه الدولية وان هذا الشكل من نظام طبقات العمل الدولي لم يعد يتفق بعد الان مع احوال العالم.

لندن ٢٣ – اغار الطيران الحليف على مدينة دورتمونت الصناعية الالمانية فقذف عليها بالفي طن من القنابل وكانت الغارة كاسحة .

لندن ٢٤ – انعقدت اللجنة القومية الفرنسية في ٢٤ نوار برئاسة الجنرال ديغول واستمعت الى تقرير الجنرال كاترو بصدد مهمته في افريقيا الشمالية . ولوحظ انه لم يعد هنالك تباين في وجهات نظر اللجنة القومية ، والنظريات الواردة في رسالة الجنرال جيرو بتاريخ ١٧ نوار ، وانه لم يعد ثمة ما يحول دون تشكيل اللجنة التنفيذية المركزية في أجله

القاهرة ٢٦ – نشر مفتي الديار المصرية الاكبر فتوى بناء على طلب وزير التموين قرر فيها ان المسلمين الذين يعرفون محتكري البضائع ويرشدون السلطات اليهم لا يعتبرون آثمين .

روما ٢٧ – اعلن راديو روما استناداً الى مصدر محايد ان ٨ ملايين رجل قد احتشدوا في الميدان الكبير من الجبهة الشرقية الممتدة بين لينغراد والبحر الاسود . القاهرة – استؤنف البريد العادي بين مصر وتونس والجزائر ومراكش وكذلك المواصلات البرقية . لندن – وصلت الى احد المرافىء البريطانية نجدات اضافية من الجيش الكندي مؤلفة من مشاة ومدفعيين واطباء واخصائيين بفرع الهندسة .